

محمد رجب البيومي

كيف استشهد زيد بن علي

بقلم محمد رجب البيومي

***

جلس هشام بن عبدالملك في خاصة بني امية يتحدث عن شؤون الخلافة ، وامور الحكم ، ثم قال موجها لمستمعيه : لقد اطمانت بي وسائل الامن فما اخاف ثائرا يهب ، أو مشاغبا ينهض ، وقد جعلت على الولاة عيونا وارصادا في كل فج فما تلبث ان تاتيني الانباء عنهم بما يخفون وما يعلنون !!على انني قلق لهذه البلدة التي تجمع نسل ابي تراب ، وتضم اليهم من سخف عقله ! واضطراب هواه فانا منها في جهد حائر ، وقلق اكيد ، وسيقدم الان اميرها خالد بن عبدالملك بن الحرث ، لاستطلع ما عنده من الانباء ، وعليكم ان تشتركوا معي في الامر اشتراكا بصيرا لأتبين مواضع السداد ، فأعرف ما يراب الصدع ويسد الفتوق .

قال قائل ممن يستمعون : ان الولاة يا امير المؤمنين لا يتحدثون اليك عن الواقع الصريح فكل امير على مدينته ما يدعي انه وطد الامن وازال الخلاف ، وان امارته حصن سابغ تلوذ به الخلافة ، ومعقل مصون يدرا الفتن والاعاصير ! فكيف يصدقك خالد بن عبدالملك الحديث !!

فأجاب هشام في ثقة : لقد خبرت خالدا ، فهو يراسلني بما يقع امامه عن صدق وامانة ، اذ ان عيوني عليه يبعثون الي بمثل ما يبعث من الانباء ! فلو كان الرجل مداهنا خادعا ، لانكشفت رسائله عن المداهنة والخداع .. ولعلكم تعرفون انني كنت قبل الخلافة واليا على المدينة فانا بها ادرى واعلم ولن يستطيع وال ما ان يخفي عني شيئا لمسته بيدي !!

فقال بعض الجلساء : وماذا يقول خالد في رسائله لامير المؤمنين ؟!

فقال هشام : انه يتحدث بمرارة عن آل الحسن وآل الحسين ، وسأحضره اليكم الان فهو على بابي من الصباح ينتظر الاذن .. وسأناقشه مناقشة دقيقة !! لتفهموا عنه ما تريدون .. ثم صفق بيده وامر حاجبه بدعوة خالد .. فاتى على عجل واخذ مكانه في ادب وقور بين المجتمعين ..

قال هشام — في تودد — لقد كلفناك صعبا حين دعوناك الينا من المدينة ، فتجشمت مرهقات السفر في قيظ محرق وطريق عسير .

فابتسم خالد بن عبدالملك متشجعا ثم قال في ملاطفة لو امرني امير المؤمنين ان اصعد الى السماء لحاولت ! فكل امره حبيب اثير .

فنظر الخليفة الى وجوه القوم لحظة ، ثم توجه الى خالد يسأله ، وماذا تحمل الينا من الانباء !! لعلك تصدقني الحديث .

فرد خالد بلهجة حازمة وقال ايد الله أمير المؤمنين ، فان كرمه قد شمل المسلمين فما يستطيع احد ان يتخلى عن طاعته وهيبته .. وان المدينة كلها رقاب منقادة ورؤوس مطرقة ، ومن يضمر الكراهية من آل تراب لا يستطيع ان يعلن ، فانا من ورائهم استرق السمع ، واقطع الطريق !!

قال هشام : لقد جاءتني الانباء عن يقظتك ووفائك يا خالد !! ولكني اريد تفصيلا وافيا عما تقوم به ازاء هؤلاء ...ومعي في المجلس صفوة احبابي وخيرة اعواني، وهم لا بد منصتون متأملون ! فاجل النقاب عن كل خافية مستترة ، لنصل الى علاج سديد فتأمل خالد وجوه الحاضرين كمن يحاول ان يستشف بالنظرة المتثبتة ما تمور به الخوالج المقنعة من احاسيس ثم قال على مهل وعينه الى هشام :

ان الناس بالمدينة يكنون لآل ابي تراب حبا صادقا ، ويبدون لنا طاعة ظاهرة ، فرقابهم تحت ايدينا ، ولكن قلوبهم ليست في قبضتنا ، وانا أعاملهم على هذا الاعتبار .. فابذل الجهد المتيقظ في تكبيل الالسنة، واغضاء العيون.

فرد هشام في يقظة : لو قلت غير ذلك لكذبتك وبادرت بعزلك ، فقد كنت — من قبل — واليا على المدينة وشاهدت من وفاء اهلها لآل ابي تراب ما ادهش تفكيري ، واثار حيرتي ، وما كنت بمستطيع ان احول الوفاء الى بغضاء ، بل كنت احاصر النار في مندلعها المشبوب كيلا تمتد الى مكان اخر ، فتعم النكبة وسوء المصير .

فقال يوسف بن عمر الثقفي وكان من الحاضرين : ان الحال كما ارى قد تبدل يا امير المؤمنين فقد كنت واليا على المدينة اذ كان بها علي زين العابدين بن الحسين ،

وهو بقية السيف من موقعة كربلاء من ابناء الحسين وكان في عبادته واخلاقه مضرب المثل بين الناس ، فكان المدينون يحبونه لذاته ويعتصمون به اعتصاما قويا . . أما الان فقد مات علي فتفرق الناس عن شيعته ، ولم يجدوا منه بديلا يحتل مكانته ذات الهيبة والجلال . . .

فقال هشام موافقا : لقد ارقني علي هذا ، واطار النوم عن عيني ، فكنت اراه بالمسجد يؤم الناس فاذا فرغ من صلاته اكبوا على يده تقبيلا ، واذا خاطبه احد انحنى امامه عن حب وشغف لا عن هيبة وارهاب ، واذا سار في طريق تجمع الناس يفسحون له المكان ، وتلمس العامة ثواب الله في اقتفاء خطواته ، وتأمل وجهه البسام !! ولن انسى انني ذهبت الى مكة ذات عام للطواف حول البيت فرايت من ازدحام الناس ما اوقفني عن الطواف ، فبحثت عن كرسي انتظر عليه حتى يهدأ الناس ، وشخصت ببصري لحظة فوجدت الزحام ينفرج فجأة وقد تدافع الحاضرون عن امام وعن خلف يفسحون الطريق ! فنظرت فاذا علي زين العابدين يقدم للطواف ووراءه أفواج العامة يتبركون بظله ! فقلت من هذا كالمتجاهل ؟ فسمعت من يقول مرتجلا دون اناة :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	**والبيت يعرفه والحل والحرم**
هذا ابن خير عباد الله كلهم	**هذا التقي النقي الطاهر العلم**
اذا رأته قريش قال قائلها	**الى مكارم هذا ينتهي الكرم**

فاطرقت عابسا وقد ذاع الشعر كالبرق ورواه جميع الناس !! فما رايك يا خالد ؟! فنظر الوالي نظرة مهذبة ثم قال : لقد حكى يوسف بن عمر ان عليا زين العابدين قد مات ولم يترك بديلا يحتل مكانته في الناس ، ولكني اعرف عن يقين انه ترك بديلا قويا ورث عنه هيبته واجلاله !! ذلكم هو زيد بن علي زين العابدين !

فهز هشام رأسه ! وقال في تأوه : زيد بن علي ! لقد أتتني عنه الانباء ، فكيف تراه !

قال خالد : يا امير المؤمنين لقد رزق هذا الشاب فصاحة نادرة لم ارها في انسان وقد سمعته يناقش الفقهاء في حلقاتهم الدراسية فوجدتهم ينقطعون امامه فما يقدرون على مباراته ، فاذا جلس مجلس الوعظ تشقق لسانه عن نبع سلس دافق تهيم به الاسماع !! اما اذا سار في الطريق فلن اجد وصفا لجلاله وهيبته غير ما حكاه امير المؤمنين عن والده علي زين العابدين لان الناس هم الناس !!

فقال يوسف بن عمر : ولم تركت الناس يتحلقون حوله في المسجد ، ويسيرون وراءه في كل مكان دون ان تأخذ عليهم السبيل !!

فقال هشام في سرعة : صه يا يوسف ! لقد حاولت ذلك مع علي فلم استطع ، كنت اتهدد الناس وآخذهم بالوعيد حتى اظن انهم قد امتنعوا عن علي ثم انظر فاذا الكثرة الكاثرة تتزاحم على مجلسه ، وتتكالب على طريقه! وقد ذهب الوعيد هباء دون خوف واكتراث !!

فنظر احد الحاضرين طويلا الى خالد ثم سأله في ادب : اتستطيع ان تصف زيدا كأني اراه . . .

فابتسم هشام وقال : كنت اريد ان اقول هذا السؤال ، فأجب يا خالد دون امهال ! فقال الوالي في جد واهتمام : هو يا امير المؤمنين شاب قوي يبدو كفارس في ميدان ، ويضيء وجهه بالنور كأن قمرا يلوح ، وله لحية سوداء تكسوه جلالا ورونقا ، فاذا سار وجدت انسانا وسطا لا الى القصر او الطول !! ولا الى السمنة او الهزال . . .اما اذا سمعت فصوت ممتلىء رنان !! وحديث مؤثر خلاب !! وهو يقرا القرآن بقراءة اثرت عنه، ويقول انه اخذها عن ابيه ، وقد افتتن بها المدينون فلا يقرءون بغيرها القرآن . . بل انهم يتناقلون كلماته وعباراته ففي كل يوم يتحدثون قال زيد كذا بالامس وقال زيد كذا اليوم !! حتى حرت ماذا اصنع ، وقد ضاع ما بذلت من الجهود .

فاعتدل يوسف بن عمر الثقفي وقال في اعتداد : اتحدثنا – باذن امير المؤمنين – عن بعض ما اتيته في ارهاق زيد ، واهانة شيعته ، لنعلم بعض ما كان ؟ فقال هشام لخالد : قد اذنت فأجب بما تراه !

فاطرق الوالي قليلا كأنه يجمع خواطره ثم رفع رأسه ، وقال في ثبات : علمت ذات يوم ان خصاما عنيفا نشب بين زيد بن علي بن الحسين وابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسن ، وقد شاع خبره في المدينة فأردت ان أشعل الفتنة ليزيد بينهما السباب واللغو فينخفض قدرهما في الناس!! فأحضرتهما على الملأ قريبا من المسجد، وقلت لجعفر ما تقول في ابن عمك زيد فبدأ ينتقص ويغلظ القول فأسرع زيد يقول لابن عمه – وقد تنبه الى ما اريد – لا تعجل يا أبا محمد ، اعتق زيد ما يملك ان خاصمك الى خالد امير المدينة ، ثم انسحب من مجلسه وقال يخاطبني ! اجمعت ذرية رسول الله لامر ما كان يجمعهم عليه ابو بكر وعمر بن الخطاب!! فاغريت به احد صنائعي من آل عمرو بن حزم ! فسبه بأمه وابيه !! ولكن الناس صاحوا به : اسكت قطع الله لسانك واخذ بعضهم كفا من حصباء ورمى بها في وجهه ! فأطرق على خزي مشين !! ثم انتهى المجلس بين نظرات الشامتين وصيحات الغاضبين !

قال احد الحاضرين : الا تستطيع ان تعارض زيدا في علمه ووعظه فتأتي بفقيه من الشام او العراق تصطنعه ليقعد له في مجلسه مقعد المخالف المنابذ فينصرف الناس عنه الى حين !!

فقال هشام : لا يا قوم ! نريد حلا عمليا . فالرجل فقيه بصير روى عن ابيه ، وعن جده !! وقد اشرب المسلمون تصديق ما يقول دون نزاع ، فلو عارضه احد العلماء ما استمع اليه في شيء ، ولباء لاول مجلس

بالخذلان والكنود ..!

فقال خالد في ادب : ومن يعارض زيدا في علمه ! ان واصل بن عطاء ، وجعفر بن الصادق اخيه وابا حنيفة فقيه العراق وغيرهم من فقهاء الملة يتعبدون بآرائه ، ويفتون باتباعه !!ولن يستطيع الوالي ان يصنع قدر رجل يبجله الائمة من الفقهاء والمحدثين .

قال هشام : هذا كلام سديد يا خالد ، ولتبحثوا جميعا معه اذن عن حل مفيد .

فتطلع خالد بن عبدالملك الى هشام كمن يهم بالحديث فادرك الخليفة ما في نفسه ، وقال في هدوء : ارى على شفتيك كلاما !! فقل ما عن لك من الراي .

فقال خالد بن عبدالملك : لقد علمت من اهل المدينة ان والد زيد كان لا يبرحها الى بلدة من البلدان غير مكة في موسم الحج ، ولكني اشاهد زيد بن علي يؤم البلدان النائية فيقصد العراق والكوفة وبعض ديار الشام !! وانه ليقابل الولاة في كل مكان يحل به فيخدعهم عن قصده السياسي ويتظاهر بطلب الفقه والحديث ، وقد قيل لي ان خالد بن عبدالله القسري قد استضافه واودع لديه كثيرا من الاموال ، وان له بالكوفة لانصارا من الشيعة ، وبقية ممن آلمهم مصرع الحسين فهم يتمسكون بامامته ويرون فيه رجل الموقف ، وسيد الجماعة !! وهأنذا ادلي اليكم بجميع ما تطرق الي ان صدقا وان كذبا ، وعليكم ان تميزوا الباطل من الحق ، وتضعوا الخطة السديدة في وضوح :

قال هشام : لقد سرني من خالد اخلاصه وثباته ، واعجبتني صراحته الجريئة التي يتحاشاها كثير من الولاة فرارا من التبعة ورياء آثما لصاحب الامر ، واني لاثبته في مكانه بالمدينة آملا ان يبذل ما اعهده لديه من حيلة وكياسة ليهدم كل متطلع متوثب عامل على تاليب الثوائر وتأريث الاضغان !!

فقال قائل موجه حديثه الى الخليفة : وماذا يصنع امير المؤمنين في خالد القسري ، وقد صادق وحالف المتربصين ؟

فقال هشام : لا اظن ما نقل عن خالد القسري صحيحا معقولا ، لانه يلعن آل ابي تراب جهرة على منابر العراق كل اسبوع ! فكيف يسدي اليهم مال الخلافة وينتقصهم ويزدريهم امام الناس !!

فقال يوسف بن عمر الثقفي يستدرك على هشام : يا امير المؤمنين لا تعارض بين الناحيتين ، لانه حين يلعن آل ابي تراب يعبر عن راي الخلافة ، ولكن حينما يسدي اليهم الاموال ..يعبر عن ولائه وحبه وما نستطيع ان نبرئه من هوى القوم دون شاهد اكيد فلنحسم الشك باليقين .

فاطرق امير المؤمنين بضع لحظات .. ثم نظر في وجوه القوم قائلا : لقد عزلت خالدا عن العراق دفعا للشبهة فقط ، ووليت مكانه يوسف بن عمر ليسد في امارته مسدا لن يبلغه سواه اما خالد بن عبدالملك فقد ثبته على المدينة واثقا كل الثقة في كفايته واخلاصه !!

ثم نهض الخليفة ليقوم فادرك الحاضرون رغبته في انتهاء الحديث فأسرعوا متسللين .

* * *

سار يوسف بن عمر الثقفي الى العراق وجعل يتحسس خطوات زيد فيسأل متى كان بالكوفة ومتى رحل الى البصرة وعند من كان يلقي برحله في الغدو والرواح!! ثم اخذ يدون اسماء من يعرف عنهم حبا متوارثا لعلي وشيعته ! ويزيد فيفاجئهم في منازلهم متسائلا مفتشا ، حتى الم بكثير من مواقف زيد ، وعرف عن يقين ما كان يتناقل في مجالسه الخاصة من دعوة صريحة الى امامة عادلة رشيدة تهتدي بهدي الكتاب ، وتأمر راشدة بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وقد نصب يوسف ارصاده في مناحي العراق ، واقام العيون بين المدينة والكوفة ، لتأتيه بأخبار زيد في ترحاله وحله ، حتى علم ذات صباح بقدومه الى الكوفة ، فخف اليه في بطش ، واغلظ له القول في مهانة وغطرسة ، وزيد يجيبه اجابات مسكتة تزيد من غضبه وتؤجج الضغينة في فؤاده ، ثم زاد فاتهمه باحراز مال كثير عن طريق خالد القسري ، وواجهه بخالد وكان في محبسه ، فانكر الرجلان في تصميم حاسم ما ادعاه يوسف .. فما ازداد الا لجاجا وعتوا في طغيانه..

وشاء زيد ان يضع حدا لهذا الوالي المتهور فرحل الى دمشق ليطلع هشاما على ما يقوم به من ارهاب شنيع .. وكان زيد يظن ان هشاما سيستمع اليه كصاحب ظلامة ينتصر لنفسه بعد اعتداء غاشم !! ولا ندري لماذا نسي هذا الالمعي الحصيف انه يستجير من الرمضاء بالنار وان يوسف يستمد جبروته من طغيان هشام وعتوه !! لعله عرف ذلك عن يقين ! ولكنه اراد ان يقنع شيعته بالكوفة وغيرها من مدن الاسلام بدليل ملموس على فساد الحاكم واعتسافه ! يأتيهم به عن مشافهة ومشاهدة فلا يقبل طعنا لطاعن او تقولا لمحتال ...

ظل زيد ممنوعا امام قصر الخلافة بدمشق محجوبا فلا يؤذن له في المثول ، وهو يرى بعينه وفود المرائين ومواكب المتزلفين يغدون ويروحون دون حجاب موصد ، او رتاج يقوم ! حتى اذا الحف في الطلب جاءه الاذن المتمنع فدخل ليشهد امير المؤمنين جهم الوجه بادي الغضب ، متطاير الشرر يقول له في غطرسة : لقد خدعتك نفسك يا زيد انت الذي تنازعك نفسك بالخلافة وانت ابن امة !!

ما هذه المواجهة الصاخبة ؟! لو كان الذي يخاطبه الخليفة فردا عاديا لارتاع في موقعه ، وطارت الكلمات من لسانه فلا يجد ما يقول ، ولكن زيدا الرصين الفصيح

ينظر في حزم ، ويقول في رباطة جاش وقوة ايمان : «اسمع يا هشام انه ليس احد اولى بالله ولا ارفع درجة عنده من نبي بعثه للناس !! وقد كان اسماعيل بن ابراهيم ابن امة واخوه ابن حرة صريحة !! فاختاره الله واخرج من ذريته خير البشر ، وما على احد اذا كان جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوه علي بن ابي طالب ان تكون امه امة من السند او من اي مكان !! »

فأخذ هشام بما سمع من المنطق المفحم وما قدر ان يجيب .. وظل حائرا يرمق جالسيه حتى اذا اشتد به الحنق صاح في غضب : اخرج ، اخرج !! فابتسم زيد في استخفاف وقال : «سأخرج ثم لا اكون الا حيث تكره وتضيق !! »

وقد انجز زيد ما قال فارتحل الى الكوفة لينادي بالثورة ويدعو الناس الى مبايعته على الجهاد ، واعلن لهم خطته في رد المظالم ونصرة الحق وقسمة الفيء بين اهله على السواء ، والنصيحة لله في السرد العلانية فبايعه خمسة عشر الفا من الكوفة ثم انضم اليهم نفر كثير من واسط والمدن المجاورة حتى بلغ المبايعون اربعين الفا !! وتحرج الموقف في دمشق فباتت على شر عظيم !!

كان العقلاء من آل بيت رسول الله لا يثقون في اهل الكوفة مثقال ذرة ، فقاموا بنصيحتهم لزيد ، واخذوا يجادلون بمنطقهم المتحفظ ، وهو يرد عليهم في ثقة وايمان ، وقد قال له داود بن علي بن عبدالله بن العباس في بعض نقاشه : يا ابن العم ان هؤلاء يغرونك من نفسك ، وقد خذلوا من كان اعز عليهم منك خذلوا جدك علي بن ابي طالب حتى قتل ، وخذلوا جدك الحسين حتى استشهد وقد حلفوا لهما اوثق الايمان كبعض ما حلفوا لك فأين تكون !

فقال زيد : لقد كان معاوية يقاتل بدهائه ويزيد يدافع بقوته !! والان لا دهاء ولا تماسك فانسحب داود ولم ينطق !

وجاء سلمة بن كهيل فقال لزيد : رحمك الله كم بايعك من هؤلاء ؟ فقال اربعون الفا . فقال سلمة : وكم بايع جدك الحسين ؟ فقال زيد : ثمانون الفا ، فقال سلمة : وكم بقي معه ؟ قال زيد : ثلثمائة فقط !! فقال سلمة في أسف وحيرة : واعجبا أيبقى معك اكثر ممن بقي مع الحسين فلم يصغ زيد اليه !! وواصل العمل دون مبالاة .

وجاءه شيعي مخلص من خاصته فقال في ادب : يا ابن رسول الله لم ترد على داود بن علي وسلمة بن كهيل ردا شافيا فما قولك ، وقد جادلاك !

فابتسم زيد في مرارة وقال : والله اني لأعلم ان أهل الكوفة لا يصدقون في لقاء !! ولكن العيش في كنف المذلة دناءة وعار ، وقد شاهدت من طغيان هشام وجبروته ما حبب الي الاستشهاد في سبيل الحق ، حتى يقول الناس : لقد انف قوم من الاذعان للطغيان فلقوا الله شهداء ابرياء !!

فاطرق الشيعي معجبا وقال في اكبار بالغ : انهض لما تريد جعلني الله فداءك وسأنشط في الدعوة اليك عن يقين وايمان .

كانت الجموع تتزاحم حول راية زيد ، فأنصاره يتزايدون كل يوم ويبدون من الحمية والغيرة ما لا يشك احد معه في نجاح الثورة ، وغلبة الناقمين ، الا ان ذوي الحنكة ممن خبروا رجال الكوفة يرون وراء الستور فتوقا توشك ان تتسع فتكشف عن بلاء محدق وشر مبيد !

وقد عقد هشام مجلس مشورته بدمشق لينقذ سلطانه مما يتهدده من اخطار !! فعلم ان المال معجزة الانقاذ ، وباب النجاة ، فأخذ يسوقه على الابل في قوافل متتابعة لتنثره هناك في ارباض الكوفة وفوق مشارف العراق ، ثم بالغ في الخديعة فاستمال فريقا من ذوي الاطماع ، وامرهم أن يسألوا زيد بن علي عن ابي بكر وعمر ليجيب بما يوقع الشقاق في رهط فينقسمون عليه وتضعف ريحه فلا يجد ظهيرا يعين !!

لقد نشط زيد بجماعته الى القتال ، وسار الى الحومة الحمراء بجنان ثابت ، ونفس متوقدة فوجد نفرا ممن بايعوه ، يعترضون طريقه ويسألون :

ما قولك رحمك الله في ابي بكر وعمر !

فقال في سرعة بادهة : غفر الله لهما ما سمعت احدا من اهل بيتي تبرأ منهما وانا لا اقول فيهما الا خيرا.

فقالوا : فلم تطالب اذن بدم أهل البيت !

فأجاب في ثقة : ان اشد ما اقول فيمن ذكرتم اننا كنا أحق بهذا الامر ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه وقد عدلوا وعملوا بالسنة والكتاب .

فقالوا — في خبث — : ولم تقاتل الامويين اذن ؟

فقلب زيد كفا على كف وقال يا سبحان الله : ابو بكر وعمر عادلان طاهران وهؤلاء ظلمة آثمون ، فأين الارض من السماء ؟!

فانفضوا من حوله متذمرين ، وقد أشاعوا الفوضى ومالوا الى الفتنة والارجاف ولكن زيدا لم يتراجع فواجه بالقلة القليلة ممن ثبت معه على الحق جيوش الدولة الباطشة ذات الحشد الكثير وتلاحقت حوله نجدات بني امية من الشرق والغرب فما ضعف او استكان بل واجه السيف في مأزق حرجة تمت له فيها السيطرة والانتصار، لولا ان الرماة من اعدائه قد عمدوا الى السهام ، وليس في ملئه رام واحد يدفع النصال بالنصال ، فاتجه الى قلبه سهم صادف منه مقتلا اليما . فلقي ربه شامخ الراس موفور الكرامة ، وتفرق اتباعه حائرين جزعين .

وجلس هشام يتحدث عن هزيمة غريمه !! منتشيا مخمورا بما تم لجيوشه من الظفر الباهر ، والتفوق الحميد ثم سأل عن جثة الشهيد الصريع فعرف انها ادرجت في التراب فأمر ان تصلب على مرتفع بالهواء ليطوف الانصار آسفين متأوهين ويرمقها الاعداء فرحين شامتين !!

وارتقى البطل الشهيد الى الاوج ميتا !! فكان لواء ناطقا بالثأر يستنهض الاباة ويوقظ الغافلين .

الفيوم — دار المعلمات محمد رجب البيومي



دنيانا

* * *

سعدت لاني جئت في هذه الدنيا ... كأني عرفت العمر من قبل ان أحيا
ألم اك في طي التراب غذاءه ... لأصلي في نسل تقادم في الهلكى
سلكت سبيلي في الهواء مرفرقا ... وفي عاصف منه تعسف واستعلى
وفي الماء في أوج الفيوم وربما ... بمستنقع أوردت كدرته الحسرى
فما انعكس الخيام في برح خاطري ... يوسوس في فكري بحيرته السكرى
ولا كان لي عند المعري وسيلة ... لألبس فيها الزهد لبسته الكبرى
تنسمت في الدنيا نسيم معيشتي ... كنبت نما يبغي الحياة ولو يشقى
أرى أمنا الارض التي جاد بطنها ... بمولودها عادت لتشمله أحنى
الم يكفنا أنا ندور بجوها ... مدى العام كالأطيار في الافق الاعلى
تطل علينا في الليالي نجومها ... غواهز بالالحاظ في دلها الاحلى
أكانت رعابيبا فصارت كواكبا ... قناديل في الافلاك تلمع في المسى
وفي الشمس سر الكون ضاعت على الحجى ... مفاتيحه لا تلتمس عنده جدوى
اذا رحت تبغي كنهه متوغلا ... بمعناه لم ترشد واحرقك المعنى
وردت الدنى كالضيف ملء تحيتي ... سلام لأهليها الاحبة في اللقيا
اذا قيل اعدائي فاين عداوتي ... تنازلت عنها لا أريد لها بقيا
ألم أكناف الصداقات انها ... بلاسم للجرح الذي ابدا يدوى
اذا فر غيري من اليم وجدتني ... ألازمه حتى أجنبه السلوى
فمن حقنا في العيش بؤس ونعمة ... ومن دأبنا ان نستطيب وان نأسى
وما قيمة اللذات ان لم يكن لها ... كؤوس من الاحزان نملؤها نجوى
وفي الحب غصات على غمراتها ... رغائب يوليها الفؤاد لمن يهوى
تقبلت دنيا لا بجبر ولا رضى ... أعيش بها لا أبتغي عندها شكوى

دمشق — زكي المحاسني

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

أحمد حلمي عبدالباقي - ناصر عيسى - الدكتور قيصر خوري

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ - حلمي عبدالباقي

ولد في مدينة صيدا لبنان عام ١٨٨٢ وكان والده ضابطا في الجيش العثماني وقد اشتهر بالزهد والورع والاعتصام بحبل دينه ، فترعرع وحيده «احمد» في أحضان التقوى والصلاح ، ورضع لبان الفضيلة واجتراح الخير والتفاني في خدمة دينه .

ونقل الوالد بحكم عمله من لبنان الى فلسطين واستقر في نابلس وعهد بنجله احمد حلمي الى الشيخ سليمان العابودي ليلقنه مبادىء الدين الطهور والى الشيخ سعيد الكرمي ليعلمه العربية وآدابها .

وفي صدر الشباب مال احمد حلمي الى الاصول المالية فعين في المصرف الزراعي بنابلس ثم نقل محاسبا للواء الديوانية فلواء العمارة بالعراق وشغل في الوقت ذاته مديرية املاك الدولة في هذا اللواء وانتسب لـ «جمعية العربية الفتاة» السرية التي انشئت في الآستانة وباريس بعد اعلان الدستور العثماني ، كما انتسب لها ابرز الساسة العرب الذين الفوا فيما بعد «حزب الاستقلال العربي» المظهر الخارجي لتلك الجمعية .

وعند اندلاع نار الحرب الكبرى كان احمد حلمي محاسبا في لواء العمارة بالاضافة الى متصرفية هذا اللواء بالوكالة ، فجمع المتطوعين من ابناء العشائر في فرقة واحدة والتحق بالجيش العثماني وعين قائدا لها فابلى في الجيش البريطاني بلاء حسنا واسر القائد البريطاني الشهير «طونساند» وأركان حربه وانتهت المعركة بسقوط «كوت العمارة» في أيدي أحمد حلمي ورجال فرقته .

في العهد الفيصلي : وبعد ان طويت الراية التركية من ربوع سورية والعراق آل الحكم في سورية الشمالية الى الامير فيصل بن الحسين (الملك فيصل فيما بعد) فعاد احمد حلمي الى دمشق وعين مديرا عاما لوزارة المالية بالاشتراك مع سعيد باشا شقير في عهد وزير المالية المرحوم فارس الخوري فوزيرا مستقلا لها عام ١٩١٩ .

في العهد الاردني الاول : وما ان احتل الفرنسيون سورية حتى تفرق الساسة فيها في الاقطار المجاورة وسرعان ما دعاه الاحرار الذين لاذوا بالاردن ليعمل معهم في تأسيس «حكومة الشرق العربي» برئاسة الامير عبدالله بن الحسين (الملك عبدالله فيما بعد) . وفي اوائل شباط ١٩٢٢ بلغ أحمد حلمي عمان عن طريق بيت المقدس فتلقاه الامير بالبر والترحاب وعين مشاورا للمالية (وزيرا للمالية باصطلاح اليوم) واختاره المغفور له الملك حسين بن علي عاهل الحجاز عهد ذاك ناظرا للخط الحديدي الحجازي ، بالاضافة الى عمله في الجهاز الوزاري الاردني ومنحه لقب «باشا» وانتدبه ممثلا للمملكة الحجازية الهاشمية في مؤتمر الديون العمومية الذي دعت اليه البلدان المنفصلة عن تركيا وعقدت جلساته في الآستانة وجنيف ولندن في الشهور الثلاثة الاولى من عام ١٩٢٥ . وبتأسيس منه أصدر الامير عبدالله بن الحسين ارادة بتأسيس المجمع العلمي الاردني في عمان .

وظل احمد حلمي في الاردن وزيرا للمالية الى ان وجه البريطانيون انذارا الى السلطات الاردنية لاخراج الساسة العرب المتطرفين ، عسكريين ومدنيين ، بداعي انهم يشجعون على محاربة فرنسا في سورية وشن الاعتداءات عليها فنفي المترجم له الى الحجاز ومنها نزح الى القاهرة فعاش عزيزا مكرما بين علمائها ورجال الفكر فيها .

الى فلسطين : وبدعوة من سماحة الحاج امين الحسيني ، مفتي فلسطين ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى توجه احمد حلمي الى بيت المقدس عام ١٩٢٦ وشغل وظيفة مراقب عام الاوقاف (١٩٢٦ - ١٩٣٠) فنظم شؤونها وعمر الحرم القدسي واكثر من المنشئات والجمعيات والمشاريع الخيرية وأسس «فندق بالاس» الفخم في شارع مأمن الله بالقدس .

في الحقل الاقتصادي : وفي عام ١٩٣٠ اشترك مع صهره الاقتصادي الكبير الحاج عبدالحميد شومان في تأسيس «البنك العربي» بالقدس وعين مديرا عاما له فكان هذا المصرف العربي نواة المؤسسة الكبرى التي لم تزل تحمل هذا الاسم العذب في العالم العربي كله اسيويا وافريقيا وفي اوروبا والمهجر .

وفي عام ١٩٣٣ دعا مع المرحوم عيسى العيسى صاحب جريدة «فلسطين» لاقامة «المعرض العربي» في القدس سنتي ١٩٣٣ و ١٩٣٤ تحديا لـ «معرض الشرق» الصهيوني الذي اقيم في تل ابيب ، فأقيم المعرضان العربيان الناجحان في عمارة فندق بالاس وهب الصناعيون العرب من شتى الاقطار لعرض انتاجهم الصناعي ودعم ذينك المعرضين العربيين .

الى سيشل : وفي خريف عام ١٩٣٨ بطشت حكومة الانتداب برجالات فلسطين لمحاربتهم الوطن القومي اليهودي ونفت رهطا منهم الى سيشل على رأسهم احمد حلمي ورشيد الحاج ابراهيم والدكتور حسين فخري الخالدي ويعقوب الغصين وفؤاد سابا امين سر اللجنة العربية العليا . وبعد نفي دام عامين اطلقت السلطات البريطانية سراحهم فجاؤوا الى مصر وفي اوائل الحرب الثانية سمحت لهم بالعودة الى فلسطين .

مآثر ومنائر : وبعين البصير الخبير تطلع احمد حلمي الى ما تحتاج اليه فلسطين العربية بعد ان أقام فيها اليهود المؤسسات الاقتصادية والصناعية والعلمية فاجترح غير ما تقدم المآثر التالية :

١ - البنك الزراعي : مهمته امداد الفلاح الفلسطيني بالقروض الزراعية وابعاد شبح الفاقة عنه والحيلولة دون بيع ارضه للصهيوني.

٢ - بنك الامة العربية : مهمته رفع مستوى الاقتصاد العربي وحمايته من الجشع الصهيوني .

٣ - البنك الصناعي : مهمته تشجيع الصناعة العربية بفلسطين لتتطور وتزدهر .

٤ - صندوق الامة العربية : مهمته انقاذ الاراضي العربية في فلسطين ومنع تسربها للصهيونية وفرض دونم او اكثر على كل عربي في وسعه انقاذ الارض الفلسطينية ونتيجة لاسهام الكثيرين من العرب في هذا الصندوق القومي انقذت آلافات الدونمات في منطقتي بيسان وبئر السبع .

٥ - معهد ابناء الامة العربية : انشأه صاحب الترجمة على طريق القدس - رام الله لايواء الايتام الذين استشهد آباؤهم دفاعا عن الديار المقدسة .

٦ - الجمعية الصلاحية في القدس ومكتبتها .

٧ - مساعدة عائلات المشوهين العرب في نضال فلسطين .

وانتخب احمد حلمي رئيسا للغرفة التجارية العربية بالقدس وعضوا في اللجنة الاقتصادية لجامعة الدول العربية وعضوا في الهيئات السياسية العربية بفلسطين وظل يدافع مع اخوانه المؤمنين بربهم ،

المغالين بوطنهم ، عن سورية حتى نالت استقلالها عنوة واقتدارا .

ومثل القدس في اغلب المؤتمرات السياسية التي عقدت في كبريات المدن الفلسطينية. وعندما عقد «مؤتمر بلودان» في ٨ حزيران ١٩٤٦ وحد الاحزاب الفلسطينية ودعا الى تأليف «الهيئة العربية العليا» وكان احمد حلمي عضوا بارزا فيها .

ودرج الفقيد على سنة محمودة هي تقديم الحلوى في عيدي الفطر والاضحى للسجناء العرب وتزويدهم بالنشرات والكتب رغبة في تقويم ما اعوج من خلالهم وتوجيههم الى محجة الهدى والصلاح .

قبل النكبة : وفي الاضطرابات التي نشبت بين العرب واليهود (١٩٤٧ ـ ١٩٤٩) في فلسطين تحرج الموقف السياسي في القدس والمدن الاخرى فلزم الفقيد منزله في «البقعة الفوقا» (١) بعد ان اصاب عينيه ألم شديد نتيجة للمتاعب والمشاق التي واجهها مع المناضلين الذين عاشوا معه دفاعا عن المدينة المقدسة ، وأقسم احمد حلمي الا يبارحها الا محمولا على الاكتاف ، واذا كتب الله له الحياة فلن يمكن العصابات الصهيونية من الاستيلاء على الاماكن المقدسة . وظل ذلك المجاهد الصابر في عرينه على هذه الوتيرة ليلقى وجه ربه شهيدا .

وبعد توسلات العسكريين العرب واعضاء اللجنة القومية فيالقدس بارح احمد حلمي داره في ذلك الحي الذي هجره اهله الى «دار الايتام الاسلامية» داخل المدينة القديمة وشرع في توجيه منظمة «الجهاد المقدس» و «فرقة التدمير العربية» وتزويد المناضلين بالاسلحة والمال والمحتاجين بالغذاء والكساء والدواء ودعا من بقي من العرب في القدس للبقاء فيها والصمود في وجه العدو ، فأفسد بهذا على الغزاة خططهم وحال دون الاستيلاء على بيت المقدس وفيها الاماكن المقدسة وحفظ عروبة أحياء «باب الساهرة» و «الشيخ جراح» و «وادي الجوز» وأعاد الى النفوس الطمأنينة والاستقرار وحمل سكان القرى المتاخمة لمدينة القدس على اللجوء اليها والمشاركة في الدفاع عنها .

وتقديرا لسهره على بيت المقدس ولمواقفه المشرفة وجه اليه الملك عبدالله بن الحسين رتبة «امير لواء» واقامه حاكما عسكريا على القدس الشريف وحارسا للاماكن المقدسة .

وقاد احمد حلمي حامية القدس ودافع عن المدينة وظل يناضل عنها الى ان جاء الجيش العربي الاردني وتسلم القيادة منه في ٢٠ أيار ١٩٤٨ وكان مؤلفا من : ٢٦ ضابطا و٩٦ صف ضابط و ٣٩٨ جنديا و١٢ مدفعا مضادا للدبابات و ٦٠٠٠ قذيفة و٧٠ رشاشا .

الى غزة فالقاهرة : بعد ان استقال احمد حلمي من الوظيفة التي اختارها له الملك عبدالله بارح القدس الى غزة اولا ومنها الى القاهرة وفيها استأنف جهاده اقتصاديا وسياسيا واسس «بنك الامة العربية» هنـــاك .

حكومة عموم فلسطين : وفي شهر آب ١٩٤٨ تم الاتفاق بين جامعة الدول العربية والمسؤولين الفلسطينيين على تشكيل «حكومة عموم فلسطين» واثر انعقاد مؤتمر غزة بتاريخ ١ تشرين الاول ١٩٤٨ تشكلت هذه الحكومة على الشكل التالي :

احمد حلمي عبدالباقي (رئيس الوزراء ووزير الخارجية) ثم تنازل عن وزارة الخارجية للسيد جمال الحسيني ، امين عقل (وزير الزراعة) الدكتور فوتي فريج (وزير الصحة) ميشال ابكاريوس (وزير المالية) رجائي الحسيني (وزير الدفاع) جوزف صهيون (وزير الدعاية) علي حسنا (وزير العدل) جمال الحسيني (وزير الخارجية) عوني عبد الهادي (وزير الشؤون الاجتماعية) اكرم زعيتر (وزير المعارف) أنور نسيبه (سكرتير عام).

واشترك اعضاء هذه الحكومة في الجلسات التي كانت تدعو لها جامعة الدول العربية في القاهرة .

واصطلح المرض على احمد حلمي فبارح مصر الى سوق الغرب (بلبنان) لجودة مناخها ، لكن جسمه الهزيل لم يقو على مصارعة الداء.

وفي ٢٩ حزيران ١٩٦٣ لاقى وجه ربه راضيا مرضيا ، ونقل جثمانه بالطيارة من سوق الغرب الى بيت المقدس المدينة التي أحبها وهام بثراها الطهور ودافع عنها بتضحية وبسالة .

وعملا بوصيته دفن في السابع من صفر ١٣٨٣ هـ الموافق ٢٩ حزيران ١٩٦٣ في الحرم القدسي الشريف مجاورا الابرار الصالحين الذين استرخصوا كل غال ونفيس في سبيل الدفاع عن اولىالقبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وبهذه النهاية القدسية المشرفة حققت السماء قوله :

يا رب ان قدرت موتي فاولني   عز الشهادة عند (بيت المقدس)
وامنن فباركني كما باركته   يا رب واجعل نور وجهك مؤنسي

وهكذا مضى هذا المجاهد الصابر والمسلم المتوكل على الله للقاء ربه ولقيه بمآثر ومنجزات صورها شعرا بقوله :

صحيفة كبياض الصبح مشرقة   وغرة في جبين الدهر (اعمالي)
أبيت الا العلا يا (عز) فارتقبي   وسائلي النجم عن حلي وترحالي

كان احمد حلمي مجموعة من الصفات النادرة والخصائص التي قل ان تتوفر في أهل هذا الزمن ، وابرز صفاته ايمانه بالله والبذل فى سبل الخير ونكران الذات والعمل لرفعة العروبة وعزة الاسلام !

وكان الفقيد فنانا في الخط العربي ، وطرازه في هذا الباب آية، وقليل من المعاصرين في بلاد العرب من اجاد الخط العربي اجادة احمد حلمي له ، ولقد اختار منه الرقعي الرائج عهد ذاك في الدواوين العثمانيـــة .

نماذج من شعره : مال احمد حلمي منذ صغره الى الادب فكان وعاء نفيسا لمختارات من الادب العربي ، وقال الشعر واختار منه القصائد القصيـــرة .

وفي «سيشل» منفاه نظم شعرا رقيقا تنبض ابياته بحب الله وتقديس الوطن والحض على خدمة الدين والذود عن حياض البلاد.وفي اخريات أيامه جنح الى طريقة «الرباعيات» فنظم في هذا الباب عشرات منها ودونك بعضها تفيض بالعظات والحكم :

يا رب خوفي والدعاء وسيلتي   لرضاك فاقبل يا كريم دعائي
يا عالما نجوى ضميري نجني   مما أعاني من أسى وعناء

ذكرت الله في سري وجهري   وذكر الله يعقبه الرجاء
رضاء أرتجي ربي وعفوا   ومنك العفو يرجى والرضاء

لا تغفلن عن ذكر ربك لحظة   واذكره في السراء والضراء
ما فاز في الدارين الا مؤمن   يدعوه في الاصباح والامساء

تأمل فهذا الكون اصبح مظلما   وأمست ربوع القدس نهبا مقسما
لقد دمرت أيدي اليهود صروحها   فقللرجال العرب: هل أنتمو دمى؟

انجز وعودك للذين قطعتها   فالوعد عهد واجب الايفاء
يوفي الكريم بوعده متهللا   ان الوفاء سجية الكرماء

أسرفت في مدح الزمان وذمه   وأقمت نفسك فيه شخصا ثالثا
أنت الزمان ولن ترى غير الذي   كسبت يداك لما تلاقي باعثا

يملي علينا الدهر من أسفاره   عبرا ولكن اين من يتدبر ؟
انظر فهل في الكون الا عالم   في حيرة او جاهل لا يبصر !

امسك عن القول الهراء ترفعا   وأقم نهاك على اللسان حفيظا
من عاش يطلق في الانام لسانه   يقض الحياة مروعا ومغيظا

أدرت ظهري للدنيا فلا آسف   على الذي فاتني منها ولا لهف
هي الحياة اذا ادركت غايتها   فليس يغريك فيها المال والشرف

لا ترج عونا في الحياة من امرىء   واجعل نصيرك ساعدا مفتولا
من يستعن عند الكفاح بغيره   يجد السلاح ـ على المدى ـ مفلولا

لا تنظرن الى العورات تلمزها   واجعل صفاتك للاخلاق عنوانا
كم نظرة دنست أخلاق مرسلها   ولفظة اوقدت في الصدر نيرانا

وجملة القول : كان المغفور له احمد حلمي عبدالباقي شخصية فذة تميزت بالنضال في سبيل العروبة والاسلام والصمود في وجه كل غشوم يريد بهما سوءا ، والايمان بنبيه الكريم ، والحفاظ على كتابه الكريم ، وايمانه بهاتين المعجزتين كفلق الصبح !

نموذج من نثره : وبعد وفاة امير البيان الامير شكيب ارسلان دعا صديقه الصفي الوفي أحمد حلمي باشا الى حفلة تأبين كبرى اقيمت في يافا صباح السابع من شباط ١٩٤٧ وألقى فيها كلمة منها :

«لست أبغي بكلمتي هذه رثاء ولا تأبينا ، وما أعجزني عن ذلك ، وانما اذا جاز لي ان الخص الامير شكيبا ، رحمه الله أوسع الرحمات، بكلمة قلت كأنه في منهج حياته ومطرد جهاده كان يستصرخ امته على الصيحة الكبرى التي جاءت في الحديث الشريف : «يوشك ان تتداعى عليكم الامم من كل جانب تداعي الاكلة على القصاع» فقالوا : « أو من قلة منا يومئذ يا رسول الله ؟» قال : « لا ولكن غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم وينزع من قلوب اعدائكم من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت»).

واذا كان الامير شكيب قد اختير الى الرفيق الاعلى وهذه سيرته وهو المجاهد الفريد فهو في الخالدين ذكرا واثرا والبانين، وان غابوا ، صورا وعمرا .فنحن اليوم قد اجتمعنا لنحيي ذكرى راحل من الراحلين ، ولكنه من الاموات الذين لا يموتون !»

٢ ـ ناصر عيسى

ولد في بلدة الرامة بفلسطين عام ١٨٨٧ وأنهى دراسته الابتدائية في المدرسة الروسية ودراسته الثانوية في «دار المعلمين الروسية» بالناصرة .وأول عمل زاوله ادارة المدرسة الروسية في «بينو» من قضاء عكار (لبنان الشمالي) وبعدها نقل مديرا للمدرسة الروسية في «منياره» من قضاء عكار فمديرا للمدرسة الروسية في كوسبا (الكورة ـ لبنان) .

وفي الحرب الكبرى أغلقت هذه المدرسة وغيرها من المدارس ابوابها فظل المترجم له في كوسبا الى نهاية عام ١٩١٧ .وبعد انهيار الحكم العثماني عاد الى مسقط رأسه وعين في عهد الانتداب معلما للغة العربية في عكا ثم بيت لحم ثم عكا وسلخ فيها مدة عشرين عاما استاذا للعربية .

وفي عام ١٩٤٣ أحيل على التقاعد وبطلب خاص من مديرية المعارف العامة بفلسطين ظل استاذا للعربية في ثانوية عكا. وفي عام ١٩٤٨ شخص الى العراق وعين استاذا للادب العربي في ثانوية الحلة وظل يؤدي عمله هذا الى عام ١٩٥٨ فعاد الى طرابلس الشام واتخذها دار اقامته .

وفي ١٦ أيلول ١٩٦٥ توفي ببلدة كوسبا (الكورة) ودفن في مقبرة الطائفة الارثوذكسية .

من آثاره القلمية : ١ ـ حياة آل رومانوف (نقله من الروسية الى العربية بالاشتراك مع قرينته السيدة دافش عيسى وتم طبعه في طرابلس الشام عام ١٩١٣) .

٢ ـ صفحات مطوية (ديوان شعره) .

نموذج من شعره : اشتهر الاستاذ انيس الخوري المقدسي بقصيدة خاطب فيها العربي وعرج على «اليرموك» وذكريات المجد التالد . وفي عام ١٩٣٥ عارض الشاعر الاستاذ ناصر عيسى هذه القصيدة بالقصيدة العامرة التالية :

على اليرموك لا تقر السلاما   ولا تبد الاشارة والكلاما
ولا تفض العواطف زاخرات   ولا ترفع لذاك النهر هاما
فبعد اليوم ليس الماء عذبا   فلا يروي ولا يشفي أواما
وبعد اليوم اقفر جانباه   وبات به الندى غيما جهاما
وبعد اليوم ما ضحكت (سليمى)   ولم تخفق جوانحها هياما
نسيمات الصبا هبت سموما   وكانت تملأ الدنيا غراما
فلا تلك الربوع ربوع قومي   ولا ذاك العبير بها خزامى
ولا تلك المعالم شاهدات   بمجد العرب يجتاز الغماما
لعمرك ما خرير النهر الا   صدى الآلام تزداد اضطراما
وما شدو الحمائم غير نوح   كنوح الامهات على اليتامى

أطلت روح (خالد) من علاها   تجوس ديار مكة والشآما
ترى ما حل بالنهرين حتى   بها الآساد قد مسخت نعاما
وترقب في ربى اليرموك مجدا   لقد بذلت له ذاك الحساما
تراث خالد قد صح مبدا   تراه أيحسن اليوم اختتاما !

« آروتنبرغ » اغوتك الاماني   وخلت ديارنا طابت مقاما
فجئت تشيد فوق النهر سدا   وتبغي فيه اعمالا جساما
واتقنت البنا حجرا وفنا   وانت تروم للعليا زحاما
رويدا ، لست بالباغي حديثا   عرفنا قبلك القوم الطغاما
أرادوا الشرق ممتهنا ذليلا   وقد هابوا به الموت الزؤاما
ففلوا منه أعناقا وقصوا   جوانحه وما تركوا العظاما
فما كسروا لعزته قناة   ولا نثروا لوحدته التئاما
وهبك بلغت بالاموال فوزا   فهل ترجو لما تبني دواما ؟
وهب حولت قلب الشمس نورا   فهل يجلو عن الصدر القتاما ؟
لعمري لست تبلغ من اذانا   سوى ان تخلق الرجل الهماما
فيسعى للجهاد بنا شباب   ويغدو شيخنا عزما غلاما
سيبقى النور في عيني ظلاما   الى ان يمحق الحق الظلاما
اذا تم اتحاد العرب يوما   سيصبح كل مشروع حطاما !

وبعد وقوع النكبة الكبرى...تلك النكبة التي دكت فلسطين وطوحت باهليها الى عالم التشرد والفاقة قال شاعرنا ، وهو في العراق ، يصف عوادي دهره وسود لياليه :

ليلي شكا الآلام من همسي   وشكا نهاري الهم من امسي
مستقبل داج وحاضره   مضنى ، وماض شيب بالنحس
والدهر مجنون يطاردني   ماذا يخاف الدهر من بأسي
فيمينه قد كسرت قوسي   ويساره قد حطمت ترسي
قد كان لي أمل يواثبني   في بردتي وفي بني جنسي
فاذا بسيف الخلف يصرعه   ويحل مصرعه على رأسي
ضاقت بي الدنيا فأحسبها   في وسعها وبرجيها حبسي
فالشمس ان ترسل أشعتها   فلها رنين السهم في حسي
وأرى الكواكب حين ترمقني   بسماتها تبكي على تعسي
وسمعت في الاوتار لحن أسى   هي نغمة الآلام والبؤس
النهر في أمواجه لهب   والورد واهي اللون كالورس
والنخل قائمة عرائشه   في مأتم الايام لا العرس
أصبحت أخشى كل بارقة   وأفر من نفسي الى نفسي
يا دهر حسبي في الحياة شقا   أو لم يحن مثواي في رمسي ؟!

وذات يوم ارسل الشاعر عيسى ناصر الى القاضي الشاعر اسكندر الخوري البيتجالي مداعبا الابيات التالية :

آخا الشعر هل لي ان ازورك لحظة   اغذي بها من ناظريك شعوري
فقد طال عهد فيه كادت يراعتي   تجف وتذوي روضتي وزهوري
عهدتك في الاحكام برا وعادلا   فكن لرفيق العلم خير نصير !
وهبني زمانا او مكانا فنلتقي   تريني وفاء او اريك قصوري !

فأجابه الشاعر البيتجالي :

أخا الشعر زر اني نظيرك عاتب   واني لفي شوق اليك كثير
سلافة خمر هذه ام فريدة   من الشعر نالت من صميم شعوري
أهبت بها مذ اقبلت مترنحا   وقلت لها : زوري بربك زوري
فما أنت الا في حصانة شاعر   وقاض فلسطيني وحضرة خوري !

وعندما أحس بدنو أجله نظم الابيات التالية :

نسيت الضحك والانسا   ومن مثلي لا ينسى !
مريض يجرع الالام   ان أصبح أو أمسى !

الفت السقم حتى صار عندي   شريكي في شرابي او طعامي
يراقب خطوتي في كل يوم   ويحرس أنفسي وقت المنام
وان نطق اللسان بقول حر   تعرض للسان عن الكلام !

وقبل ان يلحق بربه املى على جلاسه البيتين التاليين وما لبث ان فارق الحياة :

أموت قرير العين أديت واجبي   لزوجي وابنائي وصحبي وأمتي
تسلمت من ربي كريم رسالة   وها أنا بالايمان انهي رسالتي !

٣ ـ الدكتور قيصر خوري

ولد في بكاسين (قضاء جزين من لبنان الجنوبي) عام ١٨٩٣ وتلقى علومه الابتدائية في «مدرسة الحكمة» ببيروت وأنهى علومه في كلية الاباء اليسوعيين هناك وأكمل دراسة الطب في الجامعة اليسوعية عام ١٩١٣ وعين طبيبا في شركة قناة السويس لكن نشوب الحرب العالمية الاولى حال دون التحاقه بعمله ، فعين طبيبا للمستوصف الافرنسي في «عنيبل» من بلاد بشاره (جبل عامل) .

وبعد ان خاضت الدولة العثمانية غمار الحرب الكبرى عين طبيبا في الجيش التركي وكانت خدماته موزعة بين حيفا والناصرة والعمورة (٢) والاصلاحية ودمشق وحلب وعمان والسلط واريحا والشونة .

ومع الاحتلال البريطاني اتخذ حيفا موطنا له وزاول الطب فيها ومن ثم عين طبيبا للمرفا مدة ست سنوات وبعدها عاد الى عيادته الخاصة ، وجمع بين الطب والادب وفاض بشعره على النوادي والجمعيات الفلسطينية ونشره في صحف ومجلات فلسطين وتميز كخطيب خفيف الروح وكاتب عربي له توجيهاته ونقداته ، وفي عام ١٩٣٧ انخرط في الثورة الفلسطينية ليعالج الجرحى ويدافع عن حق عربي ابلج !

من آثاره القلمية : وفي عام ١٩٤٥ دفع الى «المطبعة التجارية» في بيت المقدس مجموعة أشعاره باسم «الذكريات» وقد سجل فيها مراحل حياته وما لقيه من أحداث وحالات وذكر فيها اخوانياته ومباسطاته وساعات انسه وحزنه .

نماذج من شعره : في عام ١٩٢٠ سافر الوفد الفلسطيني الاول الى لندن ليدافع عن الحق العربي في فلسطين وليؤكد للساسة البريطانيين ان العرب لن يتخلوا ـ لليهودي التائه ـ عن وطنهم الغالي، فارسل الشاعر قصيدة خاطب فيها الملك جورج الخامس قائلا :

شعب المسيح وأحمد يتفجع   فالقدس جازعة ومكة تدمع
يا ويح «سان ريمو» فان قرارها   ضجت لرنته الجهات الاربع
داسوا البلاد وقطعوا اوصالها   فقلوبنا من جورهم تتقطع
ما راقهم شعب بريء مخلص   بل جمع شعب شعثه لا يجمع
قطعوا العهود على ابتلاع حقوقنا   ان الحقوق كبيرة لا تبلع
قطعوا العهود على البلاد وما دروا   ان البلاد بأهلها تتذرع
أنظاركم : فالعرب حول بلادهم   سور أعز من العقاب وأمنع

رحماك يا ملك العدالة ما لنا   الاك من دنيا العدالة مرجع
حجبوك عن عين البلاد وقلبها   والله من عليائه يتطلع
هذي البلاد بلادنا ، آمالنا   ومحجة للعابدين ومركع
فيها لنا مهد المسيح وقبره   والمسجد الاقصى بها متربع
هذي شهود يوم ينفخ في الورى   صور القيامة والحقيقة تسطع
فاصخ الى آمالها في حلقنا   عطش تهش الى نداك وتضرع
واصغ الى صوت الضمير فانه   حي وعقربه يدب ويلسع
واحذر من التاريخ فهو مدون   ما يفعل الملك العظيم الارفع

حقق رجاء الوفد ان مسامع الوزراء   قد صمت فليست تسمع
« بلفور » يقطع عهده متفاخرا   فكأنه ببلاده يتبرع !
و « وزارة » تقضي على آمالنا   عمدا .. اليس لها ضمير يردع؟!
فكأننا سلع تباع وتشترى   هذا يسمسر والمساوم يدفع !

ان الحقائق لا تضيع وحقنا   وهج النهار بمقلتيك يشعشع
كن عادلا والعدل حلية تاجكم   فالشعب غير العدل لا يتوقع
او تهتف الآهات ليست عتيقنا   من غيهب الماضي يهب ويرجع

واحتفلت فلسطين عام ١٩٢٤ باليوبيل الفضي لمطران العرب وخطيبهم المغفور له المطران حجار ، فجسد الطبيب الشاعر عاطفة الولاء والاعجاب بالحبر العربي بقوله :

تذكار حيفاء في يوبيل (حجار)   مرمى سناه تخطى كل تذكار
لبنان والارز ، سوريا باجمعها   أتت وفودا كحجاج وزوار
هفت تهش الى الوان حفلته   جار تناديه عفوا بهجة الجار
فالاحتفال بديع في محاسنه   والمحتفون به من بدعة الباري

مولاتي ان عروس الشعر قائلة   بانك العطر في باقات أزهار
او طلعة البدر والظلماء حالكة   به يشق حنايا الظلمة الساري
بل صحة الرأي والآراء قائمة   في بابل هزها بلبال أفكار
بل نسمة من نسيم الارز منعشة   بل سلسبيل باخلاق وأطوار

حامت عليك عيون الناس معجبة   وأنت في وسطها نور بلا نار
أعلامنا مركب الاعلام قد ركبوا   وكنت في مركب الاعلام كالصاري
نحت من صخرة الاخلاق اصبعها   لا ينحت الصخر الا كف مجار
حلقت كالنسر في أفق الحياة وقد   نلت العلى والمنى في كل مضمار
سللت من صدرك الماضي عزيمته   وليس صدرك الا غمد بتار
لولا العزائم ما كانت نوابغنا   ولا احتفلنا لانسان بتذكار

تاجرت في وزنات الله مجتهدا   وكنت قدوة عمال وتجار
ولم ترعك من الدنيا مصارفها   ان المصارف في الدنيا كمنشار
يا حارث الكرم سور حول كرمته   ان العناقيد قد حفت باخطار
واردع غواة الهوى فالنفس ضارية   وليس بالسهل ردع الكاسر الضاري

وفي عام ١٩٢٣ اوفد المغفور له الملك حسين بن علي الدكتور ناجي الاصيل الى لندن ليناقش المعاهدة البريطانية ـ الحجازية وهناك ادلى الى مندوب وكالة «هافاس» الفرنسية بتصريحات قابلها الساسة العرب بالاستهجان والوجوم فخاطبه الطبيب الشاعر بقوله :

تجليت يا (ناجي) على طور لندن   وفاتك ان الطور ليس بلندن

---

(١) أحد الاحياء العربية الراقية في بيت المقدس .
(٢) بلدة صغيرة على سكة حديد حلب ـ اضنه . (٣) وزير الخارجية البريطانية في ذلك الحين .

وما الطور الا في فلسطين قائم ... وعنه سرى كالبرق وحي المهيمن
اذا كانت النجوى اصابت وحركت ... فؤادك فاصعد فوقه وتدين
وخل عن الدنيا فان امورها ... معقدة والحل ليس بهين
ودع جانبا فن السياسة واعتبر ... فانت بغير الطب لم تتفنن

ذهبت كمندوب الحجاز مفوضا ... وعدت الينا حاملا (كرزن) (٣)
كأني بذاك العهد أكفان ميت ... فغط به وجه البلاد وكفن !
وقف نادبا هذي الربوع وأهلها ... ومسجدها الاقصى ومهد التمدن
وضح على الاقصى الشريف بحقها ... وصل على روح البلاد وأذن
وناد فلسطينا تصعد زفرة ... يهز صداها كل قلب ومسكن
بدأت بتشييد البناء بمكة ... وعدت لتكميل البناء بلندن
وأسست فوق الرمل بنيان مجدها ... وكل بناء أسه الرمل ينحني
أضلوك والحق الصريح مبين ... فعدت وعاد الحق غير مبين

الى ان يقول :

جلست الى (هافاس) باسم بلادنا ... وجاهرت كالمندوب عن كل موطن
وان لنا وفدا وما غيره على ... امانينا يوم البلا بمؤتمن
فان يدع هذا الوفد يسمع نداءنا ... وان يدعنا يوما الى الحق نذعن
فان كنت بالعهد (المكرزن) مؤمنا ... فوفد البلاد الحر ليس بمؤمن
وبلغ ميامين الجزيرة اننا ... نموت ولن نحيا بعهد مصهين

وفي عام ١٩٢٦ اذاعت البرقيات العالمية نبأ اضراب «مكسويني» البطل الارلندي عن الطعام احتجاجا على معاملة بريطانيا لارلنده موطنه فصام مدة ٧٥ يوما ومات قرير العين ، مطمئن الخاطر ، فخاطب شاعرنا البطل الصائم بقوله :

قضى الله ان تقضي بسجنك صائما ... فنم آمنا يا (مكسوين) المعظم
ففي الموت احياء وفي الموت راحة ... وفي الموت تعتز النفوس وتكرم
كبحت جماح النفس بالصوم والطوى ... وعلمتنا بالسجن ما ليس يعلم
وأظهرت للآنام في الكون حقكم ... جليا وان الحق لا يتكتم
سجين ولكن العيون نواظر ... الى شرفات السجن والسجن مظلم
وقد حامت الافكار حولك حينما ... تفاقم شر الصوم والجسم يهدم
وليس اعتراض القوم في الكون كله ... سوى الله في افواههم يتكلم
فما حركتهم عزة أو شهامة ... وما أخذتهم توبة وتندم

قضى الله ان تقضي بسجنك صائما ... كذاك يجل الخطب فيك ويعظم
فنم آمنا يا (مكسوين) ومن يكن ... نظيرك لا شك العناية ترحم
سيذكرك التاريخ في كل حقبة ... ومستقبل الاجيال في الكون يحكم

وصباح الثلاثاء الواقع في ١٧ حزيران ١٩٣٠. اعدمت السلطات البريطانية في سجن عكا الشهداء الثلاثة الاحرار : فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم بتهمة التحريض على قتل اليهود فصور الشاعر الخوري الفعلة النكراء التي اقدمت السياسة البريطانية عليها بقوله :

دافعوا عن بلادهم فرموهم ... في ظلام السجون شيبا ومردا
حاكموهم كمجرمين وقالوا ... انهم قاتلون قصدا وعمدا
طمسوا حق أمة وأقاموا ... بين حكم القضاء والعدل سدا
يا بني العرب والزمان عصيب ... لا تخالوا مراتب العز تهدى
ليس من يطلب العلى مستكينا ... مثل من يطلب العلى مستعدا
حاكموهم وقبل شهر أذاعوا ... صلبهم في البلاد فردا ففردا
وأحاطوا يوم الثلاثاء عكا ... ملأوا السهل والروابي جندا
وتدلى حبل الردى فرأوه ... سلم المجد والعلاء معدا
فاعتلوه وعانقوه هياما ... حين ضم الاعناق شوقا ووجدا
ورأينا على ملامحهم للخلـ ... ـد والمجد بارقا يتبدى
قد أبى النور ان يراهم ضحايا ... شهداء تدان ظلما وتردى
فاكفهرت جوانب السجن صبحا ... فكأن الدجى على السجن مدا
وعلت صيحة الفداء فدوى ... رجعها في أضالع السجن رعدا
رددته الاجراس حزنا وغما ... وشداه الاذان شجوا وكمدا
حملته الرياح في كل أفق ... وذرته على العروبة ندا
وسجل التاريخ دون عهدا ... فيه جور العباد جاوز حدا

شهداء البلاد ان بلادي ... تتهادى بكم فخارا ومجدا
قد بذلتم أزكى النفوس فداها ... وبلاد الاحرار بالروح تفدى
وسقيتم ثرى فلسطين دفقا ... من دماكم فكان للعرب وردا
ورفعتم في الموت راية مجد ... خفقت فوق حبلكم حين شدا
وبنيتم صرح الفداء منيعا ... ليس يخشى من الزلازل هدا
رفرفوا في سمائنا وأبينوا ... سر هذي الحياة مهدا ولحدا
انشدونا لحن الخلود فانا ... قد عشقنا الحياة مجدا وخلدا
وانفثوا في النفوس روح المعالي ... لتطير النفوس جدا وكدا
واهيبوا بقومنا ان يكونوا ... كالبناء المرصوص جمعا وفردا

عمان
البدوي الملثم

بعد القنبلة

•

مترجمة عن أبيات للمسز ويلسون عقيلة رئيس وزراء بريطانيا ، نشرتها الصحف البريطانية وظهرت ترجمتها في جريدة ازفستيا السوفييتية وقد وافقت المسز ويلسون على نشرها مترجمة في العربية

•

دحرجت يلتهم الكون لظاها
والردى يرشح من وهج حشاها
كرة من ملعب الجن هوت
كلما امعن فيها الفكر تاها
خيم الصمت رهيبا بعدها
وتلاشى في مدى الظن صداها
وانبرى الشيطان في طغمته
بدمار الكون عجبا يتباهى
كعقاب الجو قد حط على
مرأب ، عاليه في الجو تناهى
جلجلت ضحكته طاغية
كهزيم الرعد ، واختال وتاها.
عربدات النصر في نشوته
هزت الافلاك رعبا في فضاها
ورنا للارض ، والارض جذى
هامدات .. بعدما الموت طواها

لندن
سعيد العيسى
من «العروة الوثقى»

نفـك الاســر

*

لا شيء ، نحن لا شيء
وماذا تكون نحن سوى لا شيء
في أنفنا كبرياء جفاف
وفي قلوبنا وحوش ضارية
مهزلة نحن في هذه الارض
وأرضنا مسرح مكسور الحوافي
عدته الفئران والنمال والفيافي
في عيوننا ضوء جماد
مسمرون في التراب
نستف ذرات التراب
عظمنا تراب ، لحمنا تـراب
والدود أقوى ، ينخرنا ،
يمتص منـا الحياة
التاريخ يحتال علينا وعلى الابناء
روحنا تخلد على مر الزمان
يسد عن عيوننا نورا وعشبة الخلود
ينهار الفكر ، يلعن ساعة ..
.. خلقنا مثل الوحوش بلا دليل
وظل الوحش ينهش منا القلوب والعيون
ان صعدنا في الفضاء
وما بعد الفضاء
أو لضمنا بذراعنا القطبين
او حمنا في اعماق الارض
والصخر والحجر
ورفسنا باقدامنا الهزيلة ،
ذات الزمان وذات المكان
الهواء والماء والتراب وما ينبت التراب
ويخرج الماء والهواء
وجدنا الخراب والضلال
في دربنا واليباب
وما تكون الحصيلة سوى جديلة قديدة
أو فتيلة بلا رواء ،
أو شعرة بيضاء

نمشي او نركض او نطير
نركب البحر والبر والاثير
جسمنا حمل ثقيل ،
أثقله الهواء والماء والتراب
فيه رائحة الفناء ونتن الجيف !
والموت حقير تافه ضد الحياة !
نرفض الزمان ، نوقفه ، نقتله
لن ينفل في اجسادنا الثقيلة
ليتها تبقى خفيفة ، خفيفة
تلفظ الفناء والموت وجيفة
وساحات الجليد نرتادها ،
ندفن فيها موتانا
بسرعة البرق يفيق الموتى
نذكر الماضي
مثل اهل الكهف في عهد قديم
بعد هزات عنيفة ، سابعهم كلبهم
من بساط الريح في الف ليلة
ورحلات الفضاء في كل حلم
تموجات الفكر في وادينا
أطلق الطائر والصاروخ ومركب الفضاء
وفي الغد ننتصر على الزمان والمكان
والهواء والماء والتراب
نفك الاسر عن رموشنا وأيدينا
والكواكب نطلقها كما نشاء
نطوف معها في براري الفضاء
نترك الارض الثقيلة ،
والهواء والماء والتراب
نهرب من ويلاتها ووحوشها
نصد التاريخ وأفيونه
نفتح صفحة بلا حروف
نحيا الى الابد بلا حروف

ثريا ملحس



يسير في ارتخاء ، عيناه شاردتان ، وفي فمه عقب دخينه لم يعد يومض بنار. وكان ينقل رجليه كانما يرمي بهما في حماة طين ، ولكنه لم يكن حذرا حذر من يرمي برجليه في بركة لا يعرف لها قرار ، وانما كانت حذاؤه تصطدم بالارض كأن له معها ترة . كان قيمصه المخطط القصير الاكمام قد استحال لونه حتى لم يعد ينتسب الى لون ، وارتخت عضلات سرواله حتى انتفخ موطن الركبة منها ، وبدا وقد براها البلى ، كانما توشك ان تكون غربالا يتيح لانوار الشارع ان تغمر ركبتيه. كان وجهه الاسمر يؤذن بغضون تكاد تتحلق عينيه السوداوين . وبدت جبهته متغضنة كانما يحمل على رأسه ثقلا يخشى ان ينهار . وبدا عنقه من قميصه المفتوح الازرار منكشفا عن وريدين يتقلصان في انفعال. وغمر خديه ولبته شعر فاحم متيقظ ، وبدا ساعداه المفتولان في قوة وعزم كأنما تنبئان عن رغبة في صراع .

سار ثم سار لا يحفل بالذين يصدمهم في سيره ، كما لو كان يسير في طريق لفظته ارجل السائرين، ولكن اذنيه اصطدمتا بصوت ناعم طري يهتف :

– شيء ... بركة الله .

وتشاغلت اذناه .. فاصداء الاصوات العالية العنيفة التي كان يحفل بها الشارع : اصوات منطلقة من باعة متجولين ، من سيارات وشاحنات ، من ركاب دراجات وعربات ، لم تكن اذناه تحتفلان بكل ذلك ، ولم تكن عيناه .. ولكن الصوت الناعم الح في سؤاله :

– آذاك المؤمن .. شيء بركة الله.

ولم تثره الكلمات مثل ما اثاره الصوت الناعم الصغير الهادىء المليء بالحنان والاستعطاف والطفولة .

ولم تتشاغل اذناه هذه المرة ، وانما احستا بوقع الصوت الريان فاستجابتا لحنانه وهما تستزيدان .

وتعمدت عيناه الا تلتفتا لمصدر الصوت عله يجود مرة اخرى بدفقته الدافئة، وتباطأت رجلاه في غير توقف ، وران بين ناظريه ظل يتبعه ، يقصر عن ظله ولكنه يجاهد ليلحق به وهتف الصوت مرة اخرى في غير يأس :

– الله يخلي لك اولادك .. آذاك المؤمن .. شيء بركة الله .

وامتدت يداه ، دون ان تطرف عيناه او تتوقف رجلاه ، الى جيبه ، وبحثت اصابعه في قلق بين منديل وعلبة دخائن وعلبة وقيد ومجموعة مفاتيح وموسى صغير ، تلمست اصابعه طريقها بين كل ذلك لتصل الى قعر الجيب باحثة عن عشر فرنكات .. وسار الظل الصغير

مصير ..

بقلم عبدالكريم غلاب

يحاذيه ، وتلفت الى الارض ليرى الظل يلاحقه كانما يريد ان يطوله . وانتزع الظل عينيه من شرودهما ، وعاد الصوت بنغمه العذب يهتف :

– الله يعطيك حجة في النبي .

واستجابت عيناه واذناه جميعا ، وتلفت هذه المرة نحو مصدر الصوت ومصدر الظل ، فكانت بنتا صغيرة عذبة المحيا جميلة العينين ينطق وجهها بالبؤس ولكنه لا ينطق بالضعة. وابتسمت عيناها لعينيه كانما تعرفانه من زمن بعيد . حاول ان ينتزع من فمه بسمة يرد بها التحية ، ولكنه



لم ينجح الا ان يزيح العبوس من وجهه فيما خيل له .

وتباطأت يداه في جيبه ، فقد احس في اذنيه شوقا للصوت العذب. ولكن الصبية اطمأنت الى ادراكه فلم تزد على ان مدت يدا ، واسرعت برجليها تلاحقه في صمت باسم .

ورفع عينيه عن وجهها الصبوح كانما يحاول ان يستجديها هو الاخر ، فلم تبخل ، وانما رفعت وجهها اليه وهي تمد يدها تكاد تلامس ساعده :

– آبوي اعطني شيئا استعين به على غذائي .. ربال لله .

وارتفعت اصابعه من جيبه بالفرنكات العشرة ، وضعها في يسراه ثم امتدت الاصابع تبحث عن قطعة اكبر .. خمسون فرنكا هذه المرة ، ونفحها القطعتين دون ان يقاوم شوق عينيه للنظر في الوجه الباسم الشاكر . وسمع الصوت مرة اخرى يفرد :

– الله يخلف عليك .. الله لا يجوع لك كبدا ..

وانطلقت الارجل تسعى في خفة تكاد تفر . واحس كأن شيئا يهرب منه فانطلق صوته يهتف بها :

– تعالي انت .. تعالي يا بنتي .

وتلفتت الصبية نحو مصدر الصوت، وتوقفت رجلاها الدقيقتان وهي تفكر :

– ربما .. ربما كان ما اعطاني كثيرا يريد ان يستعيد بعضه ، ودست كفها الدقيقة المقفلة فيثيابها، واستجابت عيناها ببسمة لامعة ووقفت تنتظر .

واحس محمود بتخوفاتها فابتسم للعينين الطافحتين بالصفاء وهو يقول :

– تعالي ... لا تخافي .

تقدمت نحوه خطوة وتقدم خطوة وهو يقول :

– من تكونين ؟

– انا ..؟ عائشة ...

ورن الاسم في اذنيه كانما لم يكن يتوقع ان يسمع اسم عائشة ،وعادت

عيناه تسبحان في الفضاء ، وعاد وجه الكالح يكتسي صرامته ، وتغضنت جبهته من جديد والابتسامة تفارق وجهه . وطاف بوجه عائشة طيف من الذعر ، ولكنها حاولت ان تتغلب على ذعرها بابتسامة خفيفة انتزعتها من مخاوفها ، وسرعان ما ارتدت العينان الصارمتان الى الوجه الصبوح ، وهو يسأل يكاد يكذب اذنيه :

– قلت ... اسمك ... اسمك ماذا ؟

وعاد الاطمئنان الى البنت الصغيرة وهي تجيب مؤكدة :

– عائشة ... عائشة يا بوي ..

وردد معها محمود وكانما يريد ان يتأكد : عائشة ... عائشة ..

اسم اليف اليه ، فهو يردده في اليوم عشرات المرات حينما يصحو من نومه ليوقظ عائشة من نومها لتعد نفسها للمدرسة ، وهو يردده حينما يعود الى المنزل ظهرا لتناوله عائشة طعامه ، وهو يردده مرات يستحثها ان تتناول غذاءها لتلحق بمدرستها ، وهو يردده ، مساء حينما يعود من عمله مكدودا في حاجة الى كاس ماء او علبة وقيد او قطعة صابون يغسل بها ما علق باطرافه من اردان العمل ، وهو يردده حينما يريد ان يستحثها على مراجعة دروسها . ولكن اسم عائشة لم يقع في اذنه مثل وقعه ذاك والصبية الحلوة تنطق به في صوت عذب :

عائشة ... عائشة .

وحاولت عائشة ان تفلت ، وهي تودعه على عجل ، ولكنه التفت اليها وهو يستبقيها :

– تعالي ... فما تزال عندي بقية من اسئلة .

وتوقفت عائشة مترددة لا تدري اتقف ام تفر . فمد محمود يده مرة اخرى في شبه انفعال الى جيبه ليقنعها بالبقاء .. وافتر ثغرها عن ابتسامة سعيدة وهي تطرد ترددها فتقترب منه بدلا من ان تفر .

تشاغلت يداه ليستبقيها ، ولكن فكره كان ما يزال يسبح :

انها في سن عائشتي ، ولكنها اجمل واحلى .. ربما في مثل ذكائها فعيناها لامعتان وحديثها دقيق معبر عذب ، حركاتها نشيطة مثل نشاط عائشتي .. بائسة بثيابها المتسخة ورجليها الحافيتين ولكنها غير وضيعة .

وطفر الاسم مرة اخرى الى فكره وهو يسبح :

لم يمنعها اسم عائشة عن ان تمتد يدها بالاستعطاء. ربما لم يكن لها اب



عبدالكريم غلاب

●

يحمي يديها عن ان تمتدا للاستجداء بدلا من ان تمتدا لقلم تحمله وكتاب تقراه ، ربما لم تكن لها ام .. ولكن ..

وانتزعه من افكاره قلق بدا في عيني الصبية وقد طال تحديقها في اليد الباحثة في الجيب ، فالتفت اليها يسأل :

– ولكن من يكون ابوك ؟

وفوجئت الصبية بالسؤال وقد بدا لها فضولا لم تجده عند اي من الذين تلتقي بهم تستجديهم فيمنحون او يمنعون ، وحاولت ان تتخلص من السؤال اذ فكرت في ان محمودا يفكر في ان يشكوها لوالدها . وتطلعت اليه بعينيها الضاحكتين ، وهي ما تزال تطمع فيما ستخرجه الاصابع الباحثة في الجيب ، وجدت السؤال ما يزال يحوم في عينيه فاجابت :

– ابي هو ابي ..

وضحك محمود لهذه السذاجة المفتعلة ، وادرك انه يجب ان يفي ، فان يده حين امتدت الى جيبه كانت وعدا جديرا بالوفاء . وخرجت يده بقطعة فضية بيضاء : درهم . وامتدت اليد وهو بين سبابته وابهامه كانما يريد منها ان تتأكد من ان القطعة درهم كامل . وافتر فم عائشة عن اسنان دقيقة بيضاء ، ابتسامة شكر واعتراف بالجميل ومدت يدها تأخذ الدرهم وهي تدعو له :

– الله يخلي لك بنيتك .

ووقعت من نفسه كلمة «بنيتك» وقعا غريبا : كيف عرفت ان لي بنتا؟ وانصرف عن هذا الخاطر ليعيد السؤال :

– اما تريدين ان تخبرينني من ابوك ؟

ولم تقو عائشة على المقاومة هذه المرة فاجابت في سرعة وثبات :

– ابي اسمه محمود .

محمود ...؟

لفظ السؤال في استغراب وبصوت ناكر ، وازداد تطلعه لمزيد من المعرفة، ولكنه احس ان الاهتمام والصرامة اللتين تجللان وجهه تبعثان شيئا من الرعب وعدم الاطمئنان يبدوان سريعا في وجه الصبية ، فعاد يصطنع الاطمئنان وهو يعيد السؤال :

– ابوك اسمه محمود ؟

وعاد الاطمئنان الى الصبية فأجابت في تأكيد :

– نعم اسمه محمود .. أتعرفه .؟

وأربكه السؤال فهو لا يستطيع ان يقول انه لا يعرفه .. محمود هذا الاسم الذي تردد في اذنيه قبل ان

عيناك في قلبي

يا ساحر العينين ما أجملك ... تعال تلق منزلي منزلك
فانظر تر الشباك مستنظرا ... ببسمة من شوقه استقبلك
والباب مفتوح على رحبه ... فكيف قلبي وهو في الحب لك
الفل ملء الدار انفاسه ... فواحة ملء الثرى والفلك
وكل شيء حولنا ضاحك ... حتى اسوداد الافق عند الحلك
والبلبل المسجون في كوخنا ... غناك مسرورا كما غازلك
فالمقعد المشتاق مستأنس ... كم ماد تيها بعدما استمهلك
والضوء هذا نوره فاضح ... ما بيننا.. عني أنا قبلك
تلك الورود الحمر في كوبها ... بخدها كم قبلت انملك
أراك مخجولا كما أخجلت ... كلاكما عيني وقلبي امتلك
ان كنت تهواني فلي شاهد ... عيناك في قلبي..فلن أسالك

زحلة ... رياض معلوف

تعي اذناه ، واستمر يسمعه اربعا وثلاثين سنة دون ان يجرؤ احد بالسؤال : اتعرفه ؟ ومحمود هذا الذي يلتقي به في الشارع والمعمل والدكان والمقهى فتلتقي العينان ويتعارف الوجهان دون ان ينبس احدهما للاخر بـ «السلام عليكم» ولكنه لا يعرف محمودا هذا الذي تحدثه عنه عائشة .

وزايله الارتباك قليلا وهو يجيب :

ـ لا .. لا اعرفه .

وادرك ان الصبية سرى عنها ، فهي فيما يبدو لا ترغب في ان يعرف احد من هؤلاء الذين تمد اليهم يدها بالسؤال فيمنحون او يمنعون اباها محمود ، لانه هو نفسه لا يرغب في ان يعرف احد ان عائشة هذه التي تمد يدها بالسؤال هي ابنته ، واكتفى بهذا الذي ادرك من ملامحها فسأل :

ـ ولكن يا بنيتي لم يتركك السي محمود هكذا تمدين يديك بالسؤال وقد كان من واجبه ان يحميك ذل المسألة .؟

ألقى السؤال ثم فكر في ان عائشة لن تدرك شيئا من هذا الذي يسأل عنه، فهي ولا شك فتحت عينيها على الاستجداء دون ان تعرف علة لذلك، او تفكر يوما في انها ما كان ينبغي ان تمد يدها مستجدية . ولكنها خيبت ظنه وهي تجيب في وعي :

ـ وعد الله يا بوي .

وصعدت زفرة طافحة بالالم وهي تردد :

ـ وعد الله يتصرف يا بوي ...

وبدأ محمود يحس بانه امام نفس مغلقة على اسرار خاصة . ولكن اسم عائشة كان قد حطم بينهما منطقة الاسرار، فتجرأ وهو يسألها :

ـ ابوك السي محمود (وفضل ان يذكر اسمه مقرونا بالسي ليزيد اقترابا من نفسها) مريض ام هو فقير؟

ـ ليس مريضا (وفكرت قليلا قبل ان تضيف متعثرة) ... وليس فقيرا.

ـ وماذا يعمل ؟

وواجهها السؤال كأنها لم تكن تتوقعه ، وتوقفت قليلا وهي تتطلع الى وجه محمود ، وكانت عيناه الحادتان في عينيها كأنهما تأمران بالاجابة :

ـ يعمل..؟كان يعمل..كان يعمل في معمل .

ـ واحس بالحاجة الى مساعدتها:

ـ والان اين يعمل ؟

ـ والان لا يعمل شيئا هو دائما في «البراكة» ينتظرنا ظهرا ... وينتظرنا مساء .

ـ ينتظركما ..؟ انت ومن معك ؟

ـ أمي ... أمي .

ارهقتها الاسئلة فنفرت وهي تولي الادبار قائلة :

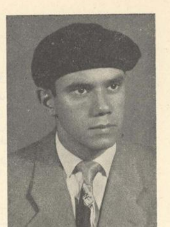
ـ الله يهنيك .. مع السلامة .

وتوقف محمود وهو يتطلع الى البنت الصغيرة عائشة تجري وراء صيد آخر تلاحق ظله ويدها الصغيرة ممدودة . وخيل اليه انه يسمع صوتها العذب يهتف :

ـ شيء بركة لله ... الله يخلي لك اولادك .

وعاد محمود الى بيته الصغير المتواضع خلف العمارة الكبيرة ودخل الباب وهو يحس انه يجتاز عتبة «براكة» . عائشة تقلب دفاترها تبحث عن كتاب .. «رحمة» في المطبخ الصغير تعد الغذاء .. وقف بين ابنته وزوجته وفاضت عيناه بدمعتين كبيرتين وهو يجهد نفسه ليخفي عنهما ان المعمل قد طرده .

الرباط ـ المغرب ... عبدالكريم غلاب


محمد أحمد العزب

الشاعر ابراهيم عبدالحميد عيسى

بقلم محمد احمد العزب

* * *

نحن في هذه السطور امام شاعر حقيقي ، يشكل في جبهة الشعر المصري ملامح صادقة أصيلة ، تتضح بكبريائها الفني ، وخصوبتها الفنية . ولعل الحديث عن شاعر ما ، يقفنا أشياء ـ اداته الفنية . مضمونه الشعري . مدى مواءمة الشكل للموضوع او مدى تباينهما .. الخصائص العامة التي تلون انتاجه وتعاون رؤياه ..

اول ما يبدهنا في شعر هذا الشاعر الفنان ، ان اداته الفنية مستكملة الى حد بعيد ، بحيث يبدو واضحا انه واثق تماما من التعبير عما يحسه او يراه ، يملك في اعماقه الشاعرة حاسة جمالية مرهفة ، تتعشق فيما يشبه الصوفية روعة الكلمة ، وجلال الحرف ، وأناقة التعبير .. حتى ليخيل الى القارىء ـ احيانا ـ ان في شاعرنا اهتماما بالجماليات قد يطغى على اهتماماته المضمونية ... ولكن القارىء المستأني الفاهم لا يلبث ان يدرك ان تعشق الشاعر للمظهر الجمالي في شعره ليس محاولة هروبية لتمييع مضمونه الثري ، بقدر ما هو امتحان عسير للامكانية التعبيرية حين يطوعها الشاعر لاحتواء مضمون كبير .

في قصيدة «العودة» تستعلن ملامح الشاعر الجمالية ، ويبين خصبه المضموني :

وعادت كالضياء الحلو يولد في جفون غدى
وطاف السكر في عتبي وعاد الكاس طوع يدي
وهش العش جذلانا لعود الطائر الفرد
وزقزق فانتشت روحي وغنى الجرح في كبدي
وأيقظنا ليالينا ونام الشوق في جسدي

ان ازميله الانيق الذي ينحت به الهيكل الشعري ليستوي بناء كاملا وجميلا ، لا يمكن الا ان يكون ازميلا واهبا فنانا .. لا يعبر من لحظة الى لحظة الا على يدي لمسة فن او ارتعاشة عطاء .

ان الشاعر ليستحيل الى ذبذبات كونية هائمة ، حين يتغرب عن هواه ، ولا يجد ملاذه الا في عيني من يحب :

غريب يمر بدرب السنين على كتفيه ربيع ضنين
يسائل أيامه عن هواه فيعصف في جانبيه الحنين
ولما أحس الضياع الشقي يعربد بالشك فوق الجبين
تلمس في الظلمات الوجود وانت الوجود ، فهل تعلمين؟

وابراهيم عبدالحميد عيسى .. عاشق لهذه الاقانيم الثلاثة : الحب .. والغربة .. والجراح .. حتى لتحس من خلال قراءاتك له .. انه أحيانا يتلمس مواطن الغربة والجراح في حبه .. او نوازع الغربة والحب في جراحاته .. او سطوة الجراح والحب في غربته .. وهو حين تستقطبه هذه الاقانيم . أو حين يستقطبها هو .. يعطينا وجهه الحقيقي في شعره الذي يغيم ويتوارى ويتلفع بألف الف سحاب ، حين يمضغ جلجلة الشعر الحماسي ، أو حين يغني للمناسبات .

وابراهيم عبدالحميد عيسى انسان طيفي ـ ان صح هذا التعبير ـ رقيق رقة الطيف .. يتوقى دائما ان يشارك في ندوات الشعر النابحة . الا ما ارتبط به منها ارتباط صداقة واصدقاء .. حتى في هذه أيضا تراه عائشا لحظاته فيها بكل ما للطيف الحالم من رقة ووداعة وعبور ، ولكن ذلك كله لا يعطي عن شاعرنا الرقيق الحالم انطباعة العزلة ولا لون الضمور . انه يملأ ايامه ولياليه بفتوحاته العاطفية ، وارتباطاته الانسانية ، وهو في جموع اصدقائه الفم الذي لا يعرف ان يتفضن بالخرس ، والروح الطائر الذي لا يمكن ان يثلج نفسه بالصمت ومحاولة التوقر المملول .. يقول في قصيدته «غريب» :

لقد كنت في شفة الحب لحنا وما حمل القلب شوقا معنى
وكنا اذا ما التقينا .. تغني دموعي .. وتفتح للفجر عينا
ويخضر في شفتينا النداء فنعصر من كرمة الحب دنا
وكنا أغاني الصبا والهوى وكنا الليالي ، وكنا .. وكنا

الم أقل لك ان هذا الشاعر يحلق في فضاء ملون الابعاد حينما يغني للحب والغربة والجراح ؟ ان ازميله الشاعر الفنان حين ينحت لنا هذه اللوحة الوامقة التي يعكسها هذا البيت الاخير :

وكنا أغاني الصبا والهوى وكنا الليالي .. وكنا .. وكنا

ليعطي انصع الادلة على ان شاعرنا معايش لكل مفاهيم شعبه ، وتقاليده ، ولمحاته الدالة الموهوبة .

ان تعبيره الراقص «وكنا .. وكنا ..» ليوحي لنا بتداعيات الموقف الحاشد بشكل يعجز كل الكلمات والتعابير عن ان تعطي مثله كل هذه الدلالات .. ان تاريخا من الحب .. والذكريات .. ليطفر كالفراشات من بين أنامل الكلمات : «وكنا .. وكنا» .

وتلح اللقطة الشعبية بكل ايحائها الفني على شاعرنا المعطاء ، فيعطيها لنا حلوة وأنيقة في مقطع آخر من نفس القصيدة :

ذكرتك والطير تبني العشاش لدنيا هوانا .. فهلا ذكرت
وكنت أناديك بالمقلتين .. بهمسي .. أناديك حتى بصمتي
وكنت أغنيك اشواق روحي فصار حديثي .. كنت .. وكنت ..

انه يبوح لنا بتاريخه كله .. ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله ، في كلمتين : «كنت .. وكنت» .. ولست أحب ان أعبر هذا المقطع الى سواه دون ان أتعاطف مع العمق الواهب في كلماته وحروفه :

وكنت أناديك بالمقلتين بهمسي .. أناديك حتى بصمتي

ان صدق الوهج العاطفي في هذه الكلمات يتخطى دائما تخوم الجمالية الى اعمق اعماق الموضوعية ، ليزاوج بينهما في وفاق فاهم متفهوم .

ولكن الغربة ، والحب ، والجراح .. في شعر ابراهيم عيسى .. لا تسير كلها في دروب مضيئة صافية ، تعكس أعماقها البسيطة في هدوء .. انها تستحيل أحيانا كثيرة الى ما يشبه الغثيان ... ربما يحدث ذلك حين تتكثف اقانيمه الثلاثة ، او حين يكثفها هو باحاسيسه

الى ابي

من ديوان للشاعر الفقيد ميشال نعمة يصدرقريبا في بيروت

تموت قبيل هنائي — على تمتمات الدعاء
ونحن عيون تهف — اليك مدار العناء
لنفرش ارضا وطئت — ورودا وعطر وفاء
تموت حرام تلف — الكبار رياح الفناء
فهم نعمة في الرخاء — ودنيا رضى في الشقاء
يجدون طول الحياة — ويقضون دون اهتداء

ذكرتك عند العشايا — الملاح اليف انطواء
تحب القعود حيال — اخضرار وبركة ماء
قبالتك الولد تحنو — عليهم يفيض عطاء
تحب الوجود طروبا — يظل كمثل انتشاء
وتهوي فلا الجو طلق — ولا العمر حلو الرواء

ابي كيف ينداح فوح — وذكرك ملء دمائي
رجائي وانت ربيب — التراب ... عن العين ناء
رجائي ان التقيك — ويا طيب ذاك اللقاء

ميشال نعمه

الشاعر المستوفز ...

في قصيدته : «ضياع» .. نحس فعلا بالضياع ، وباللزوجة .. وبالغثيان وبان كل شيء مشبه تماما لكل شيء..وبان الذي يعذب الشاعر وسط كل هذه الظلمات أنه لم يفقد معها وعيه الذاتي.. ولم يخدره عن حقيقته شيء ، انه يحسو قطرات الضياع وهو مشدود العينين .. يقظان الاحاسيس :

قد عدت يا خمار فافتح حانتي — فعلى جدار الليل بحت صرختي
واهتف باقداحي .. لعل رحيقها — يصبو فيغفر لي بقايا توبتي
فالريح تنبح في الدروب ولا أرى — الا سفوحا تشرئب لقمتي
وتئن أبواب الدجى وتصب في — كاسي رحيقا أنكرته كرمتي
فترنحت كاسي..وراسي لم تزل — حيرى معذبة بسوط اليقظة

ان كل شيء يسكر حول الشاعر ولا يسكر هو .. ان عذابه في يقظته .. في وعيه .. في حسه الفاتح احداقه دائما على كل ما حوله .. ومن حوله ..فاذا قدمت فتاته اليه..انسرب من اطار الوعي الى دنيا مملوءة بالمهشمات ..اللحظات مهشمة.. والاحاسيس مهشمة .. والحوائط القائمة بين المحسوس واللامحسوس مهشمة كذلك .. انه يلمس الهمس من شفتيها .. ويسمع باللمس سرا تبوح به الكفان :

شفتاك كم همست بشوق صاخب — فلمسته .. وسكبنه في مهجتي
ويداك كم باحت بسر عاشق — فعرفته .. وسمعته باللمسة

ان شاعرناليسسطحاراكدا لاعماقراكدة..انهعارمالوجه..والاعماق.. عارم الشوقواللذة..مبحر فيالدعوةالىعرامة اللذةالىشواطىء لا تعرف القرار ..انه ان عشق ، كان ضارما في التعبير عن عشقه .. هاتفا بمحبوبته ان تقف معه على ربوة الانفعال والعنف ..حتى تتجسد حقيقة الشوق الابدي الرابط بين آدم الوجود وحوائه أبدا ... وهو في سبيل ذلك يدعو فتاته الى لون من الوان التخابث الشاب ، الذي يتمرس به كل من احب..وكل من سيحب ..

تمنعي .. تمنعي يا حلوة التمنع
ثم ارتمي على فمي ومزقي .. وقطعي
وان شربت من دمي رحيقه .. لا تقنعي
تذاء بي .. فانني احب فيك مصرعي
فان رنا لنا الغريب واستثار مخدعي
تصنعي حكاية من الجفا .. تصنعي
وقاوميني .. واغضبي.. وخاصميني ..وادعي
فان خشيت ريبة.... وقولهم : كانت معي
تمنعي .. تمنعي.. يا حلوة التمنع

ألم اقل في مطلع هذه السطور .. ان ابراهيم عبدالحميد عيسى شاعر حقيقي يشكل في جبهة الشعر المصري ملامح صادقة اصيلة ، تنضح بكبريائها الفني ، وخصوبتها الفنية ؟

أنا واثق من انني قد قلت بعض ما أعتقد ..وان عاقني الحب للشاعر عن ان أقول كل ما اعتقد ، حتى لا يستحيل المقال الى مهرجان للشاعر الفنان..وهو جدير به..

ولكني هنا أتوقف .. أملا ان أعود اليه مرة اخرى .. في لقاء أغنى ..واثرى.. واخصب..فالى اللقاء ..

القاهرة — محمد احمد العزب


عبدالعزيز جـادو

اعمل بانسجام .. مع قوانين الطبيعة

بقلـم عبدالعزيز جـادو

* * *

لقد اجمع المفكرون والكتاب والعلماء المتخصصون في مجال العلوم النفسية على ان العقـل اللاشعوري يتلقـى طباعه وسجاياه ، وخلقه وتربيته – في جميع الاحوال – من العقل الواعي .

وهذه الحقيقة المؤكدة التي لا خلاف فيها ، يتبعها ان اللاشعور يمكن تهذيبه واصلاحه ، ويمكن تثقيفه وتعليمه لكي يكون وسيلة فريدة للوصول الـى الحق والجمال ، والصحة والسعادة والنجاح. فالعقل الواعي انمـا يعمل كحكم ، وكمرشد ، وكقائد ، ورئيس شرعي للفرد .

ولن اسهب هنا في الحديث عن الناحية الروحية مـن الحياة ، لاعتقادي انها مسألة فردية ، ولكنني أؤكد اننـا سنكون اقوى واسعد واكثر نجاحا وتفوقا اذا نحن تمسكنا بالجانب الروحي في حيواتنا حتى ولو من قبيل الفلسفة فحسـب .

فمن الواجب علينا ان نعتـرف بوجود قوة هائلـة علوية لا تسامى. . قوة نستشعر بسطوتها وسلطتها فـي توجيهنا نحو الخير ، والمشاركة في الحب. وبدون هـذه القوة والقدرة تظهر تفاهتنا ، ويبدو للعيان جهلنا ، ونشعر بضعفنا وانحطاطنا ودونيتنا ، فننطوي على انفسنـا ، ولا يكون امامنا من نستمسك بحبله ، او نلـوذ ببابـه ، او نتعلق بأسبابه ، حين يعترينا ضيق او مكروه ، ولا يسعنا ازاء ذلك الا ان نتوارى عن الانظار . مستكينين ، مستسلمين للنوائب والارزاء .

ومن الضروري كذلك ان نعترف بالحقيقة التي تؤكد ان كل شيء في الدنيا انما هو خاضع لقانون . وان للحياة نواميس تجري عليها . . والجهـل ببعض هذه النواميس لا يعني انها غير قائمـة .

ويتحتم علينا ان نسلم بجميع العوامل القادرة على التعاون من اجل الوصول الى الغاية التي هي : الصحة ، والقوة ، والسعادة ، والنجاح . .

وعلم الصحة العقلية ، وقانون الصحة الروحيـة ، لهما قيمتهما التي لا تقدر. اما الكوارث والاهوال ، وامـا الفقر والفاقة ، واما الضعف والضعة ، فهي جميعا مـن نصيب اولئك الذين لا يكترثون باحتياجاتهم ، ولا يهتمون بمطالبهـم .

وطبقا لقوانين يجب ان نعترف بها ، يمكن للقدرات العقلية والروحية ان تمتد وتكبر ، ويمكـن لطاقاتهـا ان تنمو وترقى . اما الذين لا يهتمون بهـذه القوانيـن فلن يحققوا اي امل في النجاح.

وانه لمن الجهل والخرق ان نسلـم – والعقل فـي سموه وعظمته – بأن لا حاجة بنا الى العمـل بموجب قوانين او قواعد نسيـر بمقتضاها ما دمنا احرارا فـي توجيه اسلوبنا في الحياة حسب ما نهوى ، وفي استعمال طاقاتنا في فعل غير مفيد. وهذا الاسلوب لا تكون مغبته الا الضعف والحيرة والارتباك . فهو تبديد تام للطاقة .

وقانون الصحة العقلية لا بد ان يكون مرتبطا ومحكوما بقانون الصحة الطبيعية ، ويتم هذا بدقة متناهية عمـلا بقوانين الفعل الطبيعي. وهذه القوانين ليست سهلة الفهم كلها ، ولكننا اذا استعملنا ما نعرفـه منهـا بفهم وادراك فسيعود على الانسانية جمعاء بالنفع والفائدة .

وعلم الصحة الطبيعية مرتبط بالضرورة بالصحـة العقلية ، كما ان علم الصحة العقلية ضروري هـو الاخر للصحة الطبيعية ، فكلاهما لا غنى له عن الاخر. وان دراية شاملة ومعرفة عامة جامعة بالتشريح ، وبعلم وظائف اعضاء الجسم البشري ، وبالقوانين الموصلة لانشطتها الصحية ، لهي من الاهمية بمكان .

ومخالفة القوانين في المجال الطبيعي فيه اثم وضـرر بليغ ، كمخالفة القانون في المجال العقلي والادبي سـواء بسواء . والعقل السليم لا يمكن ان يظل موجودا في جسم سقيم الا بقدر ما يمكن ان يجد العقل السقيم اقامة طويلة الامد في جسم سليم . فالحالة هنا فيها تناقض ، والمطابقة يجب ان يكون فيها تناسق ومواءمة وانسجام .

والاسمى او الاعلى اكثر قـدرة واكثـر صولة مـن الادنى . . والرئيس اكثـر نفوذا من المرؤوس . . وفـي مقدور القـوي ان يحمل الضعيف على الاذعان والخضوع والامتثال . . واذا منع عن الجسم الطعام المناسب والشراب والتمرين والوقاية من التأثيرات الضارة فلن تفيد اية كمية من الطاقة العقلية في الاحتفاظ بصحتها .

ولكن العقل سينتصر حتما اذا فكر تفكيرا صحيحا في نشر تأثيرات نافعة ، مفيدة ، وفي البحث عن الزاد الوفير من المواد الغذائية ، وفي تقديم وتهيئة التمرين المناسب لخلايا الفرد ولعضلاته ايضا . وكل هذه الحالات لا يمكن ان ينكرها اي انسان .

تأمل الاهتمام البالغ ، والعناية التامة ، والحماية العجيبة ، التي ينالها الجسم وينعم بها عن طريق ما نسميه الطبيعة . ولاحظ كم هي مليئة بالخير والعطف والحنان .. كالام الرؤوم تحنو على ابنائها وترعاهم ، وتكفل لهم الصحة والعافية ، وتضفي عليهم كل اسباب الراحة والرفاهية !.. ومن هنا فالحياة ان هي الا تغيرات عقلية وطبيعية مستمرة ـ تغييرات لا يتم حدوثها في الغالب بوعـــي .

فاذا كنا نعتمد على الترتيب والاصلاح في نظرتنا الى ذاتنا الواعية ، فكيف يمكن ان يكون الفعل المحصل أو الناشىء قاصرا ، غير واف بالفرض ؟

ان تغيرات الجو ، والطقس ، وتغيرات الضغط الجوي ، والغذاء والماء واللباس ـ ولا نقول شيئا عن تغيرات العقل بما يلازمه من عادات وخصال ـ لها كلها اثر واضح وتأثير بين على التركيب العضوي الطبيعي . وهي في ذلك محتاجة الى عناية واهتمام اكثر مما يمكن ان يحصيها ويقدرها العقل الواعي ليتمسك بها .

ثم ان هناك الضرر الذي قد نتعرض له جميعا . وقد يشمل بعضه اعضاء ضرورية لتدعيم الحياة . فاذا ما حدث هذا الضرر ـ لا قدر الله ـ نرى كيف يتقدم الانا الخاص بنا ، الساهر علينا ، الحريص على سلامتنا ، ليقوم باداء عمله البناء بما لديه من حكمة ، بكل مهارة ومقدرة. فاذا كان ثمة تلف في الانسجة ، او كسور في العظام ، او جروح عميقة ، فهو يقوم بعمل الترتيبات والاصلاحات اللازمة ليلئم الجرح ، ويرئب الصدع ، ويجبر الكسر ، ويصلح العوار ، بسرعة وكفاءة بمساعدة طفيفة من الخارج !.. فالجهاز الوعائي (١) في هذه الحالة سرعان ما تحتشد وتتجمع فيه كريات الدم البيضاء التي تسرع متعجلة في طريقها الى الثلمة (٢) وتصب متدفقة بكميات كبيرة في داخل الفتحة وحولها . وبذلك تبدأ في عملية الترميم والاصلاح عن طريق التثبيت والارساء .

ارايت الى الطبيعة كيف تنظم الاشياء وتصلح الامور عندما يفقد الفرد عضوا معينا من الجسم او حاسة من الحواس الخمس فتعمل بسرعة وبمهارة على زيادة القوة في العضو الباقي او في الحواس الاخرى لتعوض النقص حتى لقد قيل في مثل هذه الحالات ان «كل ذي عاهة جبـار ! » ..

تعاون على العمل مع قواك الخفية

فلنتعاون على العمل مع هذه القوة العجيبة التي فينا ، في طويتنا . ونتنبه الى كل كلمة من كلماتها التي تنطوي على التحذير او الترهيب او الترغيب.. ونأخذ بتلميحاتها عن الرغبة ، وننتصح بنصائحها المفيدة ، وآرائها السديدة ، وتوجيهاتها الرشيدة .

ويمكن الاعتماد على هذه القوة في اية مهمة من مهام العيش ، والوثوق بها ، والركون اليها في كل امر من الامور . فهي فيض قدسي اودعه الله فينا ، وهي قبس لاهوتي ينير لنا ابصارنا ، ويزيح ستار الشك والغي عن بصائرنا ، وهي جوهر الطاقة العالمية ، وفحوى الحكمة ، وخلاصة المعرفة ، وهي لب الحب .

ولقد قرر احد مشاهير الاطباء الاوروبيين انه لا يستطيع ان يشفي شخصا من وخزة دبوس الا اذا شاءالله.

ولقد كانت الكلمات المشهورة المأثورة التي قالها الدكتور امبروس بير اكثر وقعا في النفس ، وذات دلالة ومغزى كبير ، حتى لقد امر بنقشها على مدخل حجرة العمليات : «اني اضمد الجراح ، وعلى الله الشفاء» .

وهذه كلها في الغالب قضايا ان دلت على شيء فانما تدل على التواضع ، وتنطوي على ادب وعلى حياء جم . لا سيما اذا قورنت بادعاء الشفاء المبالغ فيه ، والمزاعم المتطرفة التي يكسوها الكثير من التظاهر الكاذب مما نعاني منه الكثير في هذا الزمان . ولا شك ان هذه الكلمات تعبر بصدق عن حقيقة بعيدة المرمى ، وتدل على الصراحة الى اقصى مـدى .

نعم ، ان الطبيعة ذاتها هي مبعث الشفاء ، والطبيعة ذاتها هي التي ترضى وترضخ وتحتمل دون ان يكون لها في هذه الاحوال منافس او نظير .

وربما يفضل رجال الدين ان يقولوا ان الله هو الشافي ، وهو البارىء ، ويستشهدون بالاية الكريمة : « واذا مرضت فهو يشفيه» ، وهذا حق لا ريب فيه . ولكن اذا ارجع العلماء كل هذه العوامل الى الطبيعة ، فلأنها من صنع الله باريها ومنشيها ، ولقد جعلها سببا من الاسباب ، كما جعل لكل شيء سببا . وانها لتسير على سنن ونواميس رتبها تعالى بقدرته . فهي تعمل من خلال هذه النواميس بأمره لا تحيد عنها .

واذا نحن بدانا بالمخلوقات الدنيا ثم اخذنا نرتقي درجات الحياة الى نهايتها ، نجد ان هناك طاقة هائلة موجودة في كل مكان تعمل للشفاء . وهي لا تزال مجهولة للعلم والعلماء . ومن ثم للعقل الانساني كافة . فاذا تكسر غصن من شجرة فان عملية ناجحة للعلاج تتم في التو لتجديد العوار واصلاح التلف . واذا حدث في صيف او في ربيع شخب في طبقة الارض المكسوة بالاعشاب نتج عن محراث او مجرفة ، فان عملية الالتئام تبدأ في العمل بهدوء وفي سكون الى ان يتم تغطية السطح المكشوف في الوقت المناسب بسندس لامع براق من الخضرة الناضرة ، والنبت المورق بألوانه الفضية الزاهية المونقة .

انا في الواقع لا نستطيع ان نرى او نتتبع مراحل العملية الهادئة المجددة التي باشرتها الطبيعة لتصلح بها ما فسد ، وتجدد ما انصدع . فهي أشبه شيء بعقرب الساعة او بظل الشمس ، يتحرك من نقطة الى نقطة ، ومن موضع الى موضع ، ولكنك لا تستطيع ان ترى الحركة .

واذا اصيب اي جزء من الجسم بجرح فانه يضمد كما يجب ، ويعنى به ، ويترك للطبيعة فرصة تؤدي فيها دورها الى ان يتم الشفاء . اما ما يقوم به الطبيب من عمل فهو مجرد مساعدة او اسعاف مؤقت . فهو يدرس الطرق الطبيعية ويكشف عن الكيفية التي تعمل الطبيعة بها ، ويحاول بكل تواضع ان يعمل معها ويتبع طرقها واساليبها . وهنا يتكشف الفرق بين العالم والمتعالم ، بين الطبيب الحقيقي والدجال .

فالطبيب الحقيقي يدرس وسائل الطبيعة وطرقها ، ويجد في السعي لوضع نفسه في مستوى وسائلها وقوانينها ، ويعمل بها .

اما المتعالم فهو يعمل كيفما اتفق ، ويخبط خبط عشواء . منتهجا الطريقة التي يقول فيها المثل العامي : «مرة تصيب ومرة تخيب» . ومن هنا يجب علينا ان ندرك تماما ان الدجال يحقق نجاحا في كثير من المرات . وانه لقادر — بكيفية ما وفي بعض الاحيان — ان يصيب الغرض ويكون لعلاجه اثر . ولكن ما تكون الطرق التي يتبعها مصحوبة بخطر بالغ ، وتكون في حد ذاتها مغامرة تعرض صاحبها للخطر .

قانون العلة والمعلول

ومن الكشوف العظيمة في العصر الحديث ان ليس هناك شيء اسمه الحظ .. وما من شيء الا وله سبب .. فكل شيء في الحياة خاضع لقانون .. والخليقة ذاتها يحكمها قانون .. هو قانون العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ..

وحينما نتكلم عن الحظ او نعتقد بالحظ ، نظهر مقدار جهلنا للاحكام التي تدبر الاسباب وتأتي بالنتائج .

وليس ثمة مكان او فراغ او حال من الحالات ، او صفة من الصفات تستثنى من سيطرة هذا القانون عليها .

فقطرات الندى البلورية ، والنسمات العليلات ، الندية ، والامواج الهادئة ، المتألقة ، والسحاب المركوم الذي يشبه الصوف في شكله وتكوينه ، والجمال الرائع لمنظر الشمس عند الغروب ، هي كما هي منذ الازل ، وستظل كما هي الى الابد ، وذلك طبقا لناموس مقدس .

والسماء ذات البروج في عليائها ، والنجوم الزهر في افلاكها ، والشمس في مدارها ، كلها تسير في نظام معين خاضع لقانون .

والجمال الباهر ، البهي ، البديع ، الذي تزهو به كل وردة ، وكل زهرة ، وكل غصن ، والالوان الزاهية التي تكسو كل ايكة ، وكل شجرة .. كل شيء فيها جميعا يحدده قانون .

والتشكيل الرقيق المنسق لجناح طائر ، والتكييف الدقيق ، لقدم حشرة او دويبة ، يحكمها جميعا ويحددها قانون .

والمطر ، والزوبعة ، والبركان ، والزلزال ، والقحط ، كل ذلك يخضع لقانون ، وان كنا « لا ندري لذلك كنها ، ولا نفهم منه شيئا » ..

ولم لا نذهب الى ابعد من ذلك فنقول ان كل نمو خاص بالانسان — نشوءه ، وترقيته طبيعيا وعقليا وروحيا — يحكمه قانون ..

ومجامع الانسان ومحافله ، ونقاباته ، وحكوماته ، وحضاراته ، ونظمه الدينية ، محددة بانتسابه وعلاقته وارتباطه بقانون ..

ويصدق هذا ايضا على شعوره ، واحساساته .. مسراته وافراحه ، وآلامه ، ونعمه ، وسعادته ، وكل حالة أخرى من حالاته الشعورية ، يقررها ويحكمها صلته بقانون ..

بل ان كل شيء في العالم الخارجي من الهباءة المتطايرة في شعاع الشمس ، الى سير الكواكب في أفلاكها ، تحكمها عملية القانون ..

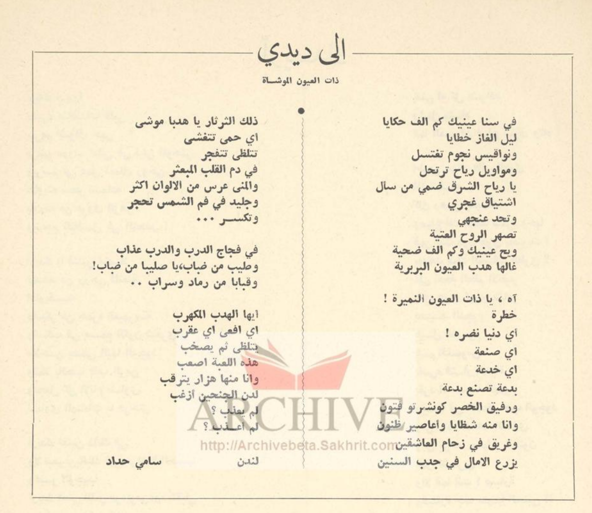
يقول كاميل فلامريون (٣) : « ما هو العشق ، هذه الاحبولة المحبوبة ؟.. وما هي الآلام القلبية ؟.. وما هي العاطفة المتأججة ؟.. ما معنى تعاون عضوين لبناء عش واحد ، وما مغزى تغذية الذكر لانثاه وهي جاثمة على البيض ؟.. ألست تسمع في كل هذا همسة الطبيعة ولهجتها الصادقة ؟.. هل حللت قط هذه الظاهرات ؟.. الا ترى في كل هذا نظاما محكما ؟.. انك ان لم تر الغاية العليا لنظام الدنيا فانك لن ترى الشمس في وضح النهار!»

طاقة هائلة

اننا كثيرا ما نتحدث عن «مخالفة القانون» او «تعطيله» . فحين ينتاب الفرد اعراض زكام شديد ، او آلام صداع حاد ، فانه يقرر انه خالف القانون. وهذا ما لا يجب . واذا قيل ان الانسان بوسعه ان يعطل القانون ، فهذا غير صحيح .. فهو لا يمكنه ذلك بأي حال ، فالانسان ذاته هو المعطل ، وهو الذي يعطل نفسه .. أما القانون فلا يزال مستمرا في تأدية عمله ، ومن المستحيل ان يخالف مخلوق محدود زائل قانونا سرمديا ابديا . وان

---

(١) المختص بالاوعية الدموية . (٢) الثلمة : الثغرة . (٣) من اشهر علماء الفلك في فرنسا خلال القرن التاسع عشر . ومن اهم واضعي اسس النظريات الفلكية الحديثة. وقد كانت له مشاركات في الكشوف الروحية التي سادت في اواخر القرن التاسع عشر .



الى ديدي

ذات العيون الموشاة

في سنا عينيك كم الف حكايا
ليل الفاز خطايا
ونواقيس نجوم تفتسل
ومواويل رياح ترتحل
يا رياح الشرق ضمي من سأل
اشتياق غجري
وتحد عنجهي
تصهر الروح العتية
ويح عينيك وكم الف ضحية
غالها هدب العيون البربرية

آه ، يا ذات العيون النميرة !
خطرة
اي دنيا نضره !
اي صنعة
اي خدعة
بدعة تصنع بدعة
ورفيق الخصر كونشرتو فتون
وانا منه شظايا وأعاصير ظنون
وغريق في زحام العاشقين
يزرع الامال في جدب السنين

ذلك الثرثار يا هدبا موشى
اي حمى تتفشى
تتلظى تتفجر
في دم القلب المبعثر
والمنى عرس من الالوان اكثر
وجليد في فم الشمس تحجر
وتكسـر ...

في فجاج الدرب والدرب عذاب
وطيب من ضباب،يا صليبا من ضباب!
وقبابا من رماد وسراب ..

أيها الهدب المكهرب
اي افعى اي عقرب
يتلظى ثم يصخب
هذه اللعبة اصعب
وانا منها هزار يترقب
لدن الجنحين أزغب
لم يعذب ؟
لم اعـذب ؟

لندن — سامي حداد

امراضنا المختلفة ، واوصابنا ، وضعفنا ، وشذوذنا ، وانحرافنا ، وآلامنا ، هي البينات البينـة ، والنتيجة الحتمية لمعارضة الانسان للقانون وتصادمه معه .

وليس صحيحا ان القانون عام عالمي فحسب ، وانه اذا خولف فلا بد ان يسبب ضررا ، بل انه خير ايضا .. وهو اريحي ، وشفيق ، وهو نافع ومفيد . واذا احسن استعماله كما يجب صار منبعا للخير لا ينضب .

والشخص الذي يلتزم القانون ويتمشى معه ، يصل نفسه بطاقة هائلة لا حد لها تجدد حياته وتقويها ، وتثبت قلبه ، وتعزز مكانته في جميع النواحي ، وتفسح لـه الطريق الى السعادة والصحة والقوة .

وقد نجد اناسا ــ رجالا ونساء ــ لم يعتادوا الالتزام بالقانون ، ولم يتفهموا اصوله ، ولا يلمـون بمبادئـه ، ويحاولون اتباع طرق اختاروها لانفسهم عن قصد وتعمد لمناواة القانون ، والتصدي له ، والقيام بأمـور تتعارض معه ، وهؤلاء لا شك خائبون ، مخطئون ، خاسرون .

فعلينا اذن ان نستمر في رحلتنا مدركين تماما اننا اذا انسجمنا مع القانون ، وائتلفنا معه ، فمن المحقق اننا سننال كل ما نصبو اليه من نجاح وتقـدم وانتصـار ، وسننتفع بكل شيء بأكثر ما يمكن ، وسنرتب امورنا علـى خير ما ينبغي ، وبالتالي ستكون الرحلة دون شك سارة، بهيجة ، لذيذة ، ذات فائدة عظيمة ، ونفع كبير .

واذكر دائما ان جميع متاعبك انما تنشأ في كثير من الاحوال عن دخولك في صراع عنيف ، او تعارض شديد ، أو صدام صارم مـع القانون . وان الفـرج والنجـدة ، والغوث ، والشفاء ، والدواء ، موجودة كلها فـي دائـرة معرفتك بـ : كيف تمردت على القانون وعصيته ، وكيف توفق في العمل معه بمواءمة وانسجام .

الاسكندرية — عبدالعزيز جادو

أريــدك

أريدك نــورا
يضيء متاهــات قلبي
يبرعم أشواق حبي
يريني دروب أماني في ليلي الموحش
ويرسم في عمق اعماق روحي
تلاوينه سحر اشعاعه
باوردة من عروق الزهر
وسجع البلابــل في المنحدر !

أريدك يا فتنتي منهــلا
تهدهد من روحي المتعبة
أفاويقــــه
فأسكر من خمره العبهريــة
وأسكب في مسمع الكون شعري
ملاحــن يصغي اليها الوجود
وتملأ بالحب قلب الزمن
وتجعل كل الانام نشاوى
نشاوى الهناءات يا فرحتي

أريدك تغنين ذاتك في
ولا تبصرين بقلبك غيرمني لفتاك الحبيب
وغيــر الوجيب
أريدك امسي الذي مر، يومي، ومستقبلي
بما فيه من أمل مقبل
بمــا ضم مــن حلم اول
أريدك اكبر مما أريد
وأروع مما يفيض القصيد !

أنا انت لــو تعلمين
بآهــات روحي الحزين
بكـل تجاربي الذابلـة
وكل تصاميم آلاميه
كلانـا يحس التمزق يشعر بالكبرياء
يعيش غدا ليس يدري مداه
يغني ويلهث في سيره
يقامر بالحـب لكنه
أسيــر هــواه

يغني له كل أشواقه
وكـل منـاه
فما العمر ان ضاع شوق وتاه ؟

أطيعي سواك فاني الهوى
اذا شئــته
كان رهــن يديــك
وصاغ لك الخلد شعرا وحبا
فمن أنت دون هوى يحتويك ؟
يهدهد فيك الشباب الطري ؟
على نفحة الحلم الانضر
وأي هوى كهوى شاعر
يصيــد النجوم
بليــل الغيــوم
يلــم الشموس
يضيء فنــار الحياة
يفرد اما شجته الهموم
ويبعث في الصخر حب الوجود
ومن زاده نفحات الشذى
ومن بوحه تمتمات الظنون
فهل تشعرين ؟
والا فما أنت ؟ صبارة
وقيثارة جف منهــا الحنين ؟!

أريدك ، لا ! انني لا أريد
ملاكا يحطم روحي العنيد
يقربني لحظة ثم يمضي
بعطــر هواي
وفي جيبه خافقي يستجير
كعصفورة غردت في الهجير
وزهــرة
أطاحت بها عاصفات الرياح
فضاعت هبــاء
وولت كومض سماديره
تعيش باقبية الذكريات !

الرياض — حسن عبدالله القرشي

من هاني الى نجوى

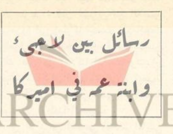
آه ، يا نجوى ! ان هذه الرسالة ليست كغيرها من الرسائل . انها تلغراف نعي ، انعي اليك ... آه ! ليس في استطاعة قلمي ان يخط تلك الكلمة الجارحة . لقد اصيب ... برصاصتين من مدفع رشاش وهو يدافع عن منزله وعن مسقط راسه وعن وطنه ، وكان منبطحا على سطح منزله . آه ، يا نجوى ! من كان يتوقع ان يعبث الاعداء بيافا المدينة الجميلة الحبيبة ؟ وذلك الرجل الشهم الشجاع ... من كان يتوقع موته فجاة ؟

خرجت هائما على وجهي . لا ارض ولا مال ولا مؤن ولا ثياب . لقد جردت من كل هذه الاشياء ،وخرجت من يافا وحيدا كما يخرج الطفل من رحم امه . نعم ، لقد شعرت اني خلقت خلقا جديدا . خلفت في يافا شخصيتي القديمة التي قضت ايامها مرحة مسرورة لتفيض املا وطمأنينة، وتقمصت شخصية غريبة لم تكن تخطر ببالي . شخصية يقيد الوجل خطاها ويعشي الكرب بصرها ويحطم اليأس اعصابها .

لم استطع بعدما خرجت من يافا ان التفت ورائي لاودعها الوداع الاخير فقد طغت مرارة الهزيمة على حلاوة الذكرى ، وشبعني اعدائي بدلا من اصدقائي .

كل شيء قد ذهب يا نجوى . تخيلي في ذهنك ذلك المقعد الخشبي الاخضر اللون الذي كنا نجلس عليه تحت شجرة التين الضافية الظل . تصوري الشرفة الواسعة التي كنا نجلس فيها قبيل غروب الشمس ونمتع نظرينا بالفلكين الازرقين المؤلفين من قبة السماء وسطح البحر ، والقوارب الشراعية تروح وتغدو على «كشكش» الامواج . فكري في المكتبة الفنية بالمؤلفات التي وضعتها في صدر منزلي والتي كثيرا ما تناولت منها القصص ودواوين الاشعار لتطالعها . تذكري القهوات الصيفية الممتدة على شاطىء العجمي الابي بصخوره الشامخة العنيدة والمتواضع اللين العريكة برماله المنبسطة المريحة. تذكري دار السينما «الحمراء» . اغمضي عينيك واذكري كل هذه الاشياء العزيزة علينا ، ثم افتحي عينيك بعد ذلك . آه ! ماذا يحدث حينئذ ؟ لقد جربت ذلك . اغمضت عيني وضللت في الذكريات برهة طويلة ، ثم فتحتهما فسالت الذكريات من عيني دموعا .

كثيرا ما اؤمل ان اعود الى مسقط راسي . وفي بعض الاحيان ارى الامل يتهكم لي ، فابتسم ابتسامة كئيبة مرة واوليه ظهري خجلا من



بقلم عبدالحميد الانشاصي

نفسي الشبيهة بنفس طفل، ويتداخل بعضي في بعض في عالم خيبتي الضيق كما تدخل السلحفاة راسها في بيتها .

انا الان اعيش في حجرة قديمة مظلمة قد نزل لي عنها احد اصدقائي في مدينة « ن» لاتخذها مسكنا لي دون ان ادفع له ايجارا . وقد تمكنت بمساعدة صديقي هذا ان اجد عملا يكفل لي لقمة العيش حينا ، فقد اصبحت معلما في مدرسة اللاجئين في مخيم «ب» .



هذا حالي . ولست ادري ما سيكون من امرك في بلاد الغربة .هل في امكانك ان تأتي الي فنعيش معا ؟ ليت في استطاعتي ان امدك بالمال ! ان راتبي الشهري لا يفي الا بحاجتي الى القوت . ولست ادري كيف يكون شاني غدا حينما يغزو البلى ثيابي .

حسبي ما كتبت ، انني في انتظار رسالة منك يا عزيزتي .

ـ من نجوى الى هاني

لقد مزقت قلبي بما كتبته الي في رسالتك الاخيرة . واذن فقد اغتصب الاعداء وطننا . يالله ! اين كان كل هذا مخبوءا لنا ؟ الا ما اقسى الاقدار! واذن فقد غدا كلانا لاجئا : انت في الوطن ، وانا في بلاد الغربة . اهكذا قضي علينا ان يعيش كلانا بعيدا عن صاحبه ؟

عزيزي هاني ! لقد كتبت الكلمتين الاخيرتين وقلبي يضطرب تارة ويغور في صدري اخرى . شعرت اني ناديت : «عزيزي هاني!» كما ينادي الطفل والده مستغيثا من امرىء اراد ان ينزل به سوءا . نعم ، لقد شعرت بوحشة تحدق بي . الان شعرت بالغربة الحقيقية . يكاد ثقلها ينوء بي وينتصب على صدري ضريحا . واذن فانت تعيش عيشة عوز وفقر. ان هول الصدمة بدا غريبا عن نفسي حتى كدت لا اصدق ما تقول .لاجىء! فقير! بعد الغنى والسعادة ؟! كيف هذا ؟ كل ذلك في وقت قصير ؟ يا لله ! كانني في حلم .

من الذي استشهد وهو يدافع عن بلده ووطنه ؟ قل لي ، من هو ؟ لماذا لم تذكر لي اسمه ؟ اخشى ان يكون ذلك الرجل ابي . نفسي تحدثني بأنه هو ابي نفسه . ابي مات ! مات وانا بعيدة عنه ادرس في الجامعة !

ماذا جرى لامي يا هاني؟ واخواتي؟ اين هن الان ؟ اجبني في صراحة . لا تخف عني شيئا . بالله عليك صارحني بالحقيقة . ليت في

استطاعتي ان آتي اليك .

ـ من هاني الى نجوى

كل ما اعلمه ان امك بقيت في يافا تحت حكم الاعداء . اما اخواتك فلست ادري اين هن الان .

عزيزتي نجوى ! احتملي هـذه الكارثة بصدر رحب فان اكثر الاهلين في المصيبة سواسية .

ان جارنا الذي كان يبيع خضروات في حانوته الكبير في يافا قد اصبح الان عاملا بسيطا يدفع امامه عربة صغيرة موقرة بالبضائع ، من السوق الى الدور . وان جارتنا ام ابراهيم قد قبلت ان تعمل ابنتها فاطمة خادمة عند رجل موسر . كل ذلك في سبيل كسب القوت . ان الانسان يستطيع ان يصبر على المصائب والهموم . اما الجوع فلا يمكنه ان يصبر عليه مع ان الاحزان تنهك من قوى النفس بمقدار ما ينهك الجوع من قوى الجسم .

في الامس رايت رجلا كهلا تحدق به جماعة من اللاجئين في عريشة بسيطة اتخذها اللاجئون قهوة لهم في المخيم الذي ادرس فيه . وكان الرجل يكثر من ذكر ماضيه والايام السعيدة التي قضاها في بلده حيفا. انه يكرر وصف احواله الماضية على اسماع الحاضرين كل يوم . فهو يقول دائما : «اين حالتي اليوم من حالتي في الامس ! كنت تاجر اقمشة لا يقل ثمنها عن ثلاثين الف جنيه . واليوم لا املك شيئا. كنت اسكن قصرا فخما يسعى فيه الخدم ، وكانت لي سيارة خصوصية» . ومن شدة تفكيره في ماضيه اصيب بالخبل . وقد بلغ من استهزاء ذوي الوقاحة ان صاروا يسألونه كلما رأوه : « قص علينا يا ابا عمر ماضي حياتك في حيفا . من اخذ قصرك وسيارتك وحانوتك ومالك ؟ الا تريد ان تستخدمني اجيرا في حانوتك او سائقا في سيارتك ؟» .

وهناك رجل آخر كان ذا جاه وثراء . ومن شدة حزنه على امواله التي ضاعت منه أصيب بشلل اقعده عن العمل .

ان اللاجئين يرتدون ثيابا بالية ، وبيوتهم من خيام تخترقها اعمدة من دخان المواقد ، وسكان تلك التلال القماشية لا عمل لهم سوى الحديث عن مدنهم المفقودة واموالهم المسلوبة .

ـ من نجوى الى هاني

يا لله ! كدت اذوب حزنا من تلك الانباء المؤلمة التي وردت في رسالتك .

انني وحيدة يا هاني . لقد اصبحت وحيدة في هذا العالم ، ولم يبق لي رجل سواك . انني في حاجة شديدة اليك . تعال الي . سافر الى اميركا لعلك تجد فيها عملا يدر عليك مالا جزيلا ، فان كثيرين من الذين سافروا الى اميركا ابتسم لهم الحظ وبلغوا ذروة النجاح . وفضلا عن ذلك فان في امكاننا اذا سافرت ان نعيش معا وان اراك وتراني ، وبعد ان استكمل دراستي في الجامعة نعود الى وطننا الحبيب .

لن انزع عن اصبعي الخاتم الماسي الذي اهديته الي سرا دون ان يشعر بذلك والدي . انه خير تذكار منك احتفظ بـه .

يجدر بك ان تحيا حياة جديدة بعد الان . لا تستسلم الى اليأس . ينبغي لنا ان نختلس السعادة من مخالب الزمان اختلاسا . ان السعادة لا تنتظر بل تختلس ، انني الان اعلل نفسي بأمل واحد وهو ان تقول لي في رسالتك القادمة : « انني قادم اليك » .

ـ من هاني الى نجوى

لقد اعجب احد معارفي باطلاعي على الوان من الثقافة وبما ابديه من تفكير طريف ، فتوسط لي عند موظف كبير يعمل في مكتب الجمعية التي تشرف على شؤون اللاجئين . فأسفر سعيه عن تعييني رئيسا لمخيم اللاجئين براتب يكفي لمعيشتي . ومعنى ذلك انني اصبحت الان اضطلع بمسؤوليات عديدة . غير انني اجد في اعمالي لذة لا حد لها لانني اشعر اني اساعد اولئك اللاجئين البؤساء واواسيهم في مصابهم واقضي بعض حاجاتهم . اصبحت كالمرضة التي تطوف على المرضى فتخدم هـذا وتواسي ذاك وترفه عن نفوس المعذبين وتضمد جروح المتألمين . اصبحت جزءا نابتا من هذا الوطن المشطور كماتنبت شجرة البرتقال او الزيتون . فكيف يمكنني ان اغادر هذا الوطن واسافر الى اميركا ؟ هذا محال .

هناك جاذب خفي يربطني ببلادي ، وهو ذلك الكلام المهموس الذي اسمعه ينساب في اذن بصيرتي من حين الى آخر : « يجب ان تبقى في مكانك حتى تعرف كيف تكون نهاية هـذه الحياة التي يحياها اللاجئون . انني على يقين من اننا لا بد عائدون الى يافا . لا بد من استرداد ذلك الجزء المسلوب من بلادنا . ان كارثة بلادنا كجرح في جسم الامة ، ولا يستريح ذلك الجسم الا اذا شفي الجرح » .

ان حادثا ترك في نفسي أثرا لا يمحى . هو سقوط الثلج على المخيم . لقد هبت عواصف ثلجية على مخيم اللاجئين في احدى الليالي الحالكة فاقضت مضاجعهم وايقظتهم من منامهم ، فراحوا يكافحونها بعزيمة وصبر . علا صياح النساء وعويل الاطفال . ارض الخيام غمرت بالماء ، والثلج ينوء بظهور الخيام ، والريح تهدر بأمواجها الخفية فتقتلع الاوتاد وتقطع الاسباب ، والسيل يجرف الفراش والامتعة .

في تلك الليلة المشؤومة شعر الرجال انهم غدوا كالاطفال الايتام في حاجة الى من يسبل عليهم ستر حمايته ويقيهم عاديات الايام .

عند الصباح اطلت الشمس على ذلك المنظر الكئيب ، فانعكست أشعتها على الثلوج الممتدة على الارض وعلى تلك العالقة باغصان الاشجار ، فبدت كمصابيح كهربائية تجذب

تدفقي

تدفقي . تدفقــــي
في سـري المستغلق
تدفقي كشعلـــــة
في مـارج مـزوق
تدفقي كنجمــــة
في فلك لـم يخلق
حبلى بـه كل الـرؤى
حبلى بافـق أزرق .

تدفقي في مسمعي
أغنيـة لـم تسمـع
لحمتهـا مـن ألـق
سداتهـا مـن شفـق
يرقبها خيط السها
في حيرة . في نـزق

تدفقي فـي اضلعي
يصح فؤادي ويـع
وحينـذاك استنزفـي
ما شئت مني واحرقي

ثم اختفي ، واستغلقي

تدفقــي فـي مقلتـي
ذكيـة التلفـت
يـا قصـة لـم تنتـه
يا ترفـا يـا مغرقـي
يـا منطقـا أحبـه
مـا فيـه اسم المنطق
يسوقنـي مـن مطلق
محجـب لمطلـق .

الجزائر دامس منعم

العيون بلألائها . وقد اسفر هجـوم الرياح الثلجية عن موت بعض الاطفال ومرض بعض الشيوخ والنساء وحزن الشبان وموت بعض بقرات حلوبات كان اصحابها يبيعون حليبها ويشترون بثمنه ما يسد رمقهم ويقيم أودهم .

اغتفري لي يا نجوى هذا الازعاج الذي سببته لك . لقد تعودت الحياة في عالم يفيض مرحا وسرورا . ولعل ما سردته عليك الان من هذا الحادث الاليم صدم قلبك الرقيق الذي لم يتعود احتمال تلك الاوصاف التـي تثير الاشجان .

اشكرك على احتفاظك بالتذكار الذي أهديته اليك . وانا ايضا ما زلت احتفظ بالتذكار الذي اهديته الي . ذلك المنديل الحريري المطرز برسوم الازهار والاعشاب . لم يطرأ على ذلك المنديل سوى شيء واحد وهو فقدانه الرائحة الزكية التـي كانت تتضوع منه كلما اخرجته مـن جيبي ونشرته امامي . كنت من قبل استنشق اريجه في شره كأنني كنت ابحث بأنفي عن عبيرك المبثوث فـي ذلك العطر الذي ضمخ المنديل به . اما الان فاني اكتفي بنظرات طـوال القيها على رسوم الازهار والاعشـاب المطرزة على ذلك المنديـل النفيـس كأنني ابحث بعيني عن تلك الانامـل العاجية الجميلة التي طرزتهـا فـي خفة ورشاقة .

عزيزتي نجوى ! أصارحك انني في حاجة شديدة الى وجهك الجميل الذي لم يقع عليه نظري مرة الا شعرت بغبطة لا حد لها تشيع في نفسـي وبنشاط يتمشـى في جسمي . اني شاب وموضوع الشباب هو الحب . نعم بالحب يشعر المرء انه شـاب ، وبالشباب يشعر انه في حاجة الـى الحـب .

لقد تعاهدنا على الزواج . تـرى ايتم زواجنـا ؟ اخشـى ان يكـون الزواج بعيدا عنا . لقد طغى تأملـي المضني على التفكير فـي الحـب ، وشغلني حاضر حياتي عن مستقبلي ، واضحيت لا ادري ماذا اصنع بنفسي .

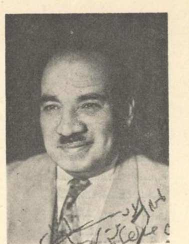
— من نجوى الى هاني

تعرفت منذ ايام قلائل بشـاب من تجار العرب . انه موفق في عمله فقد كسب من تجارته مبالغ ضخمة واصبح اسمه معروفا في الوسـط التجاري . لقد علم ذلك الرجل انني اضحيت لاجئة فقيرة ، فعرض علي مبلغا طائلا لانفقه على دراستي فـي الجامعة ، انه كريم جدا يا هانـي . وهو على استعداد لان يقوم بأية خدمة في سبيل اسعادي . ومع ذلك فاني لا اميل اليه ولا احبـه ، ولكننـي احترمه لانه يبذل جهدا كبيـرا فـي مساعدتي . انه يتحبب الي ويلح علي كثيرا . يالله ! ولكن قلبي لا يتسع لرجلين . انت الحبيب الذي احتـل قلبي . محال ان يأخذ رجل مكانـك من قلبي . انه يطمع في التزوج بي ، وهو يلح علي في ذلك . لقد غمرنـي بالهدايا الثمينة ، ومع ذلك فاننـي لا احبـه .

— من هاني الى نجـوى

تزوجيه يا نجوى . انها فرصـة سانحة ، فلا تضيعيها سدى . الحب شيء والزواج شيء آخر . لقد وهب كلانا قلبه للآخر . ان ذلك الشـاب ضروري لك لكي ينفق عليك اثنـاء دراستك في الجامعـة . تزوجيـه يا نجوى . اني اهنئك سلفا . كـل همي ان تكوني سعيدة في حياتك .

نابلس عبد الحميد الانشاصي



انـــور الجنـــدي

نـــدوات الادب

بقلـم انـور الجندي

***

يستطيع من يريد ان يؤرخ «لندوات الادب» ان يجد دائما مادة جديدة ، فما تزال تظهر ندوات جديدة في قلب القاهرة يتجدد فيها اللقاء بين الادباء والكتاب والشعراء .

وفي القاهرة ندوة جمعية الادباء بشـارع القصـر العيني ، وندوة رابطة الادب الحديث بجوار بنـك مصر ، وندوات : الرابطة الاسلامية ، والشبان المسلمين ، وصالون الفن بالشبان المسيحيين ، وكلها ندوات مفتوحـة للادب والشعر والفن ، يجري فيها حديث الفكر الى جانب حديث الشعر ، وهي تعيش يقظة للاحداث والقضايـا الوطنيـة والقومية والعربية والاسلامية متجاوبة معها على الصعيـد الوطني والروحي معا ، غير ان ندوة من هذه الندوات لـم يؤرخ لها بعد ، وكانت الى قريب ندوة « العقاد » ، وندوة طـه حسـين ، وندوة الباقوري ، وندوة نجيب محفوظ ، وقد تقلصت هذه الندوات ، وشغل اصحابها عنها ، غيـر ان ندوة حافلة برزت في افق الادب والشعر ، منذ عهـد قليل ، واستحقت ان يصدر عنها كتاب ، تلك « النـدوة البدرانية » نسبة الى صاحبها الدكتـور محمـد فتحالله بدران ، ومن عجب ان يكون هذا الكتاب منسجما مع شأن الندوة فهو يؤرخها بالشعر والنثر ، ويتولى هذا شاعر من ابرز شعراء العالم العربي اليوم هو : « محمود جبر » .

وابرز مثل للندوة البدرانية انها جددت الشعر العربي الرصين في طريقه الاصيل ، وردت اليه اعتباره بعـد ان كاد يندثر ذلك اللون الحي من الشعر المقفى ، وقد كانـت له دولة ما اظن انها تدول فما زال الشعر العربي في مصر والشام والعراق والمغرب العربي حيـا دافقا قريبا الـى النفوس ، وما زالت فنونه من الغزل والوصـف والرثـاء والاخوانيات والمطارحة والرسائل تفعل فعلها في القلوب ، وتهـز الاعمـاق .

وقد اعطت الندوة البدرانية للشعر مجاله ، وروحه ، ففي تلك القاعة الواسعة الفسيحة التي أعدها الدكتـور بدران للندوة تجد صورة الخميلة ، زهور وورود واشجار ، وعصافير ، واضواء ملونة ، وجو عربي شعري رقيـق يوحي بأروع صور الفن والادب في عصوره الزاهرة مجددا أيام ابي تمام والبحتري والفرزدق .

ويؤم هذه الندوة ابرز شعراء القاهرة : محمود جبر ، الربيع الفزالي ، قاسم مظهر ، محمد التهامـي ، احمـد علي ، محمود الجرف ، محمد بدرالدين ، محمد العزب ، محمود الماحي ، ابراهيم عيسى .

ومن رواد الندوة المثقفين : الدكتور عيسى عبـده ، احمد فراج ، حسني الزمزمي ، محيالدين الالوائي ، عبد السلام شهاب ، الدكتور عدلي اباظة .

أما الدكتور بدران فانك اذا زرت ندوته لقيك فـي ثيابه العربية وعباءته الحمراء ، على باب مكتبته الحافلة ، بين المجلدات والاضابير ، فاذا توارد اعضاء الندوة انتقلوا جميعا الى غرفة الشعر والفن ، وليس معنى هذا ان الندوة قاصرة على الشعر وحده ولكنه ابرز فنونها ، فالدكتـور بدران عالم ومؤرخ وفيلسوف ، وله ابحـاث ضخمـة ، ودراسات لطلابه في الدراسـات العاليـة ولكنـه شاعـر وصاحب اسلوب بليغ ، وقد كان التقاؤه بالشاعر الصوفي الرقيق : محمود جبر هو مصدر انطلاقـة هذه النـدوة ، التي قلما تنتهي دورتها ، او تنفض جلستها الا في مطالـع الفجر ، والحديث فيها يجري على اطلاقه بين الادب والشعر والتصوف ، وقد يتصل بالعلم او بالفقه والفلسفة ، ولكنه يجري كله في مجال «الثقافة» ولكنه لا يصـل الـى حـد «المحاضرات المطولة» فما يلبث ان يقطع بين حين وحيـن بأبيات من الشعر ، تروح عن النفس وتفتح للعقول اطلالة جديـدة .

ومن عجب ان شعراء الندوة قادرون على ملاحقة كل شيء ، فما ان يصل زائر جديد ، حتى ترى ابيات الشعر في تحية القادم قد نسجت سريعا ، ولقيت فـي نبـرات قوامها الحب والوفاء ، وهـو طابـع اهـل هـذه الندوة وميسمهم الواضـح .

اما محمود جبر صاحب كتاب « الندوة البدرانية » فهو منذ عشرين عاما يشدو في كل ندوة بشعره الصوفي الرقيق ، يهز به القلوب ، ويحرك الاشجـان ، يسمو بـه ويرتفع الى سماء الروح وتطلعات الوجدان ، وآفاق الحب

الخالص للذات الالهية :

ما زال بي الحب يرويني ويظمئني — اطوف بالحب من شوقي واستلم
ما اراني تبطوا في اخا سام — وكيف يقرب من ذاق الهوى سام
يا جيرة الحب والجنات حولكم — لا تبخلوا بحديث الخلد عندكمو
اني رايت دموعي في تهجدها — تطيل فيكم صلاة كلها لكمو

ومنذ سنوات طويلة وانا ارى محمود جبر في كل ندوة وناد ، وفي كل مجال ، يقف يلقي شعره ، فيهز النفوس ، ويلهب الارواح ، ويبعث ارق عواطف الحب والتصوف والتحليق في اجواء الروح والفكر والفن . كنت اراه من بعيد واستمع اليه ، فلما قرب بيننا التقاؤنا في عضوية المجلس الاسلامي الاعلى ، اكتشفت شخصية غاية في السماحة والرقة ، شخصية شاعر صادق الايمان بوطنه ودينه وامته ، وكل القيم الانسانية العالية الخالدة . ولقد كنت اراه قد كسب كل يوم صاحبا ، انه رجل يرسل نفسه على سجيتها ويقول كلمته صادقا ، يوحد بالاخاء الانساني بين مجموعة من النفوس المحبة الصافية ، وهو في كل مكان يذكرني به ، كنا في عزاء للزميل الاستاذ محمد صبيح وكان رفيقي الى هنالك ، وفجأة وجدت الصمت يعلو الجميع ، وشعر محمود جبر ينفذ في نفوس الناس وعقولهم الى حد النخاع كما يقولون ، وذكرت كيف كنت لا التفت في الماضي الى هذه الظاهرة العجيبة ، هذه الديباجة «الشوقية» الرائعة ، التي تحول كل شيء الى صلب شطراتها ، وفي مجلسنا ذلك كان المخرج الاشهر محمد كريم الذي هزه شعر محمود جبر ، والتمس ان يعقد له ندوة كاملة في بيته ، وذهبنا ، وكانت ليلة حلوة رائعة ، في صالون المخرج السينمائي الكبير ، كنا اشبه بمن يرد «البلاتوه» نظام كامل لتسجيل حلقة من حلقات شعر محمود جبر على شريط ، نفس حركات السينمائي ، واشاراته ، فاذا القى محمود جبر قصيدة ، واوقف الجهاز ، وجرى الحديث منطلقا ، عاد «كريم» يطلب تسجيل كل كلمة ، حتى كلمات «الدردشة» اصر ان يسجلها . . . واصبحت هذه القصائد زادا لكل من يزور محمد كريم من المخرجين والكتاب والشعراء ، زادا صوفيا تلقاه النفس المشرقة فيرد عنها غرور الدنيا وفتنةالمظاهر ، ويمنحها الصفاء والانطلاق الى آفاق السمو والاستعلاء على طوابع المادية ، وما من قصيدة وجهها محمود جبر الى «انسان» الا كان هذا الانسان مثلا رائعا للخلق ، وامس كنت في عيادة الدكتور محمود دياب فوجدت قصيدة لجبر معلقة في بهو العيادة ، ولم البث ان اكتشفت المعنى ، حقا لقد اطلقنا على الدكتور دياب «طبيب الانسانية» فهو مثل من الامثلة العالية للاطباء الذين سبقوا امثال احمد فؤاد ، ومحجوب ثابت ، وناجي ، هؤلاء الذين كانوا يدفعون للمريض اجر الدواء ، او يذهبون فيحضرونه له ، لقد شاهدت عن قرب ذلك الطابع الانساني في الدكتور محمود دياب ، واكتشفت ايمانه الخالص بالمعنى الذي يعلو فوق ماديات الحياة ، فهو على مظهره الجاد ، وعباراته الدقيقة ، سمح في اعماقه الى ابعد حدود السماحة ، يرى ان مهنة الطب ليست مهنة مال ، ولا غنى ، وانما مهنة خدمة لذوي الحاجة والفقراء قائلا : لا تكون انت والمرض على الرجل . .

ولا شك ان ندوة الدكتور بدران في «حدائق شبرا» تعطي عصارة تطلعات مجموعة من الشعراء والادباء ،ارتفعت انفسهم عن مواصفات الحياة المادية ، وانطلقوا يحلقون في اجواء «الانسانية» والحب والاخوة وعاطفة التصوف الرقيقة المتسامية ، ولم ينسهم ذلك العلم والفكر ، فلا عجب ان يستطيع اصحاب الثقافة العربية الاسلامية الاصيلة ان يجمعوا بين طوابع الايجابية والروحية في آن واحد . وان ينسلخ الدكتور بدران مثلا من مدرج كليةالبنات في «المعادي» حيث يجد فيه الفتيات استاذا عالما ،ومحدثا بارعا ، وابا رفيقا ، يعرف امورهن ، ويشكين اليه ازماتهن ، ويجدن عنده دائما الاساة والعلاج ، والكلمة المثقفة فيها نفحة الايمان وطابع الروح ، فاذا به في اعماق ندوته الحافلة في غرفتها المزهرة المفردة بالعصافير الكناري والورود الفواحة ، والفوانيس الحمراء والزرقاء، ومن حوله محمود جبر ، والربيع الغزالي ، وقاسم مظهر ، وهم خير من عرفت اندية القاهرة نبالة خلق وسماحة نفس وصفاء خاطر .

فالربيع الغزالي ما كاد يغادر مقعده في جريدة الاهرام حتى يندمج في ندوة من هذه الندوات ، محلقا ومحدثا وشاعرا ، وحسني الزمرمي هذا العلامة اللغوي الذي ما فاتته ندوة في القاهرة منذ عشرين عاما ، يقطع اليها الطريق سواء في مصر الجديدة او شبرا او غيرها ، حتى اصبح علما على الندوات محدثا ولغويا ، ومؤرخا يحفظ شطرا كبيرا من التاريخ الادبي المصري ، وهو في مظهره اشبه بالعقاد طولا وملامحا ، وفي مخبره مثل من امثلة التواضع والبساطة ، فاذا انتقلت الى ندوة الشبان المسلمين وجدت علي الجميلاطي شاعرا وخطيبا ، لا تفوته مناسبة في التاريخ ولا الوطنية ولا قضايا الوطن العربي يقدم في كل اثنين «باقة من التكلمين والشعراء» في موضوع طريف ، يبداه بكلماته ويختمه بشعره . فهو اقدر من يقدمون الندوات في القاهرة معرفة لمن يجيد الكلام في موضوع ما ، فاذا تساوى التكلمون فيه عرف اقدرهم وادقهم . المتكلمون والكتاب والشعراء في ذاكرته حاضرون ، من مختلف انحاء العالم العربي والاسلامي ، يستطيع ان يعدهم في المناسبة ، واللحظة ، وهو بعد ذلك يكمل مسافات ويضيف ما نقص ، ويجدد الذكرى لكل حدث .

وفي رابطة الادب الحديث ترى الاقطاب الثلاثة : مصطفى السحرتي ، عبدالمنعم خفاجي، كامل السوافيري، ابرز محدثي الندوة ، ومن حولهم مجموعة من الشباب

الشعراء والادباء والكتاب .
ولطالما تستمع عندهم الى الاساتذة محمد عبدالغني حسن ووديع فلسطين ، اما الخفاجي فقد شغلته ايامه في ليبيا ، اما السحرتي فانه ما زال في هدوئه يعالج المسائل في رفق ، وينقد في اناة ، ويتحدث في اتئاد ورزانة ، شأنه منذ مطالع الصبا يوم كان يحرر باب الانتاج الادبي في المقتطف مع رفيق صباه حسن كامل الصيرفي ، اما السوافيري فتشغله اليوم دراساته عن ادب فلسطين وشعر فلسطين في رسالة الدكتوراه .
وفي رابطة الادب الحديث تشم روح جماعة ابولو القديمة وتجد ريحها ، بعد ان تفرق اعضاؤها ، وظهرت رسالتان في تقويم عملها ، احداها لعبدالعزيز الدسوقي ، والاخرى لكمال نشأت .
اما احمد الشرباصي فهو علم على ندوات كثيرة ، ومحاضرات متعددة ينظم احفال الفكر والدين معا ، وهو اليوم بعد رسالة الدكتوراه عن «رشيد رضا» فهو بها جد مشغول ، وان كان لا يقصر عن اعداد ندوة «لواء الاسلام» التي تضم مجموعة من اعلام الدراسات الاسلامية في مقدمتهم الدكتور احمد غلوش والعلامة ابو زهرة ، وكثيرون ..
اما الاستاذ الباقوري فقد اوقف ندوته بعد ان شغلته اعباء «جامعة الازهر» وندواتها واحفالها ومحاضراتها ومشاغلها ، وكانت ندوته تحفل باعلام الفكر العربي الاسلامي في القاهرة ، وكان من ابرز روادها المهندس احمد عبده الشرباصي والفيلسوف مالك بن بني والشيخ عبدالجليل عيسى ، وعشرات امثال خالد محمد خالد ومحمود الشرقاوي والشيخ محمود ابو ريه .
ولقد اتيحت لنا منذ سنوات ساعات لقاء في ندوة الاستاذ احمد حسين المحامي ، تبادلنا معه الحديث في كثير من دراسات القصة والادب من خلال نظريته الشهيرة: «الطاقة الانسانية» التي احدث كتابها ابعد الاثر في الفكر العربي المعاصر وفي لقاءاته جرى الحديث حول الفن والتاريخ والادب من خلال قصتيه «ازهار» و «الدكتور خالد» ، ومن خلال قصته الجديدة «الحريق» التي لا زالت في الطريق وهو مشغول هذه الايام بكتابه الضخم «الامة الانسانية» كعلامة على طريق السلام والحب والاخوة الانسانية مدعما بالبحث العلمي من خلال تاريخ العالم كله، وكان قد اصدر شطرا من دراسته هذه في العام الماضي باسم «تاريخ الانسانية» فاحدث ذلك اثرا هاما في اواسط الكتاب حيث تناوله محمد زكي عبدالقادر وموسى صبري وعباس الاسواني وعبدالعزيز الدسوقي وغيرهم بالبحث والتعليق .
ومن خلال ندوة شعراء العروبة في جمعية الشبان المسيحيين يبرز : عبدالله شمس‌الدين شاعر الوطنية والدين والكفاح ، ومعه باقة من الشعراء المبرزين وهم يمثلون الجانب الوطني ، حيث صالون الثقافة الذي يديره الشاعر خليل جرجس خليل يمثل الجانب الفني... ، وهناك تسمع الشعر العامودي ، والشعر الحر ، وترى امثال استاذنا علي الجندي ، والربيع الغزالي وخلفاء المرحوم خالد الجرنوسي .
وما تزال ندوة «كامل كيلاني» حية في نفوس الذين شهدوها ، فقد كانت ندوة البلاغة والطرافة في آن واحد. كانت النكتة المستحدثة تجري فيها مع فكاهات الجاحظ والمعري وابو نواس والمتنبي ، كان كامل كيلاني رحمه الله وقد احتفلنا بذكراه الرابعة امس ، ديوانا من دواوين العرب يضم اكثر من مائة الف بيت من الشعر ، ولا يضاهيه اليوم في هذا الا الاستاذ علي الجندي الذي يكاد يحفظ « الاغاني » .
ولقد ضمنا به مجلس كان قوامه باعث التراث ومحققه العلامة محمد ابو الفضل ابرهيم وجرى الحديث على شعراء الفخر والرثاء والمدح : واستفاض القول حول ابو تمام والبحتري والفرزدق .
وحول موائد الاحفال الكبرى تتجمع طوائف من الاعلام ، ففي ندوة سميراميس ضمتني مائدة واحدة مع الاعلام : محمد خلف‌الله احمد ، احمد الحوفي ، مهدي علام ، ابو الفضل ابرهيم ، في حديث حلو عذب واستعادة لذكريات قديمة ، وكان الشعر عماد الندوة ، هؤلاء ابناء دار العلوم لهم طابع سماحة واضح ، كانت الدعابات مشرقة ، وكان الحديث عن الماضي جميل ، لمحات الدكتور مهدي علام لتلاميذه ،احتفاؤه بمحمود حسن اسماعيل وهو طالب في دار العلوم ، وتكريمه ، حيث يقيم الاساتذة لاول مرة ، كتقليد جامعي جديد ، حفلا لطالب ، كانت قصيدته «الكوخ» هي التي هزت الدكتور مهدي علام ، انه لم يقدمها له بيده ، بل تركها في غلاف مع كلمات رقيقة « ان كانت هذه القصيدة تعجبك فافسح لها مجالا في ندوة اليوم » فلما قرأها الدكتور علام ، افرد لها ندوة كاملة احتفاء بالشعر ، وتقديرا للشاعر ، اما الدكتور الحوفي والاستاذ خلف‌الله فقد استعادا ذكريات الشعر ، ولم اكن اعلم من قبل ان مدير معهد الدراسات العربية والباحث العربي الاسلامي كان شاعرا فيما مضى ، غير ان حديثا دار كشف عن انهما ـ الحوفي وخلف‌الله ـ عادا الى الشعر بعد ثلاثين سنة ، اما المناسبة فكانت زيارتهما للعراق ، فلما عادا تطارحا الشعر في الطائرة ، حتى اكتملت قصيدة من ارق فنون الشعر واعذبه ، ولقد استطعت ان اعرف بواعث العودة الى الشعر ، انه جو العراق ، انها البيئة العربية التي ما زال الشعر العربي البليغ فيها على اصوله، ما من شك ان هذه البيئة تهز نفس الشاعر القديم ، وذو الشوق القديم ، وان تعزى ، مشوق حين يلقى العاشقين. هكذا عادا ـ الحوفي وخلف‌الله الى الشعر ، في الطائرة.
ورجل آخر علامة عاد الى الشعر ، وكان قد هجره

سأم في الظهيرة

حركت ماء بركتي
بعود سنديان
أطارد الاسماك
أفـزع الضفادع الصغيره
بعـود سنديـان

حركت مـاء بركتي
ودرت دورتيـن
لا ادري أي شيء
أريد ان أفعله
لا ادري اي شيء
لا ادري اي شيء

جلست فوق العشب
لم أخلع الحذاء والرداء
وكانت السكينه
تطن مثل نحلة مسكينه
تطوف مثل نحلة حزينه .
وكنت في قرارتي
أصارع السكينه
أدافع المشاعر الضريره ،
وموجها القهـار ،
يكاد ان يصرعني
في هدأة الظهيره !

حلب صباح‌الدين كريدي

منذ اوائل الصبا ، ذلك هو استاذنا عمر الدسوقي فقـد فاجأني صيف هذا العام بمظروف كبير يحوي ديوانا كاملا من الشعر الذي نظمه خلال عامين في «برقة» وهو يعمل بجامعتها ، هنالك في البيئة العربية الاصيلة عـادت لـه عاطفة الشعر التي اختفت تحت ضغط الابحاث والدراسات في القاهـرة .

وفي قبة الغوري ، وفي جامعة الثقافـة الحـرة ، وفي نادي خريجي الجامعات تقام على التوالي ندوات للشعر والادب يعلو فيها صوت القصيدة العمودية ويهز النفوس ، ويصل الى النفوس والافئدة .

وما يزال نادي القصة وجماعة الادباء يحفل بالرواد امسية الاربعاء ، حيث تبدو وجـوه القصـاص العربـي الكبير عبدالحليم عبدالله والشاعـر الناقـد عبدالعزيـز الدسوقي ، وكاتب القصة القصيرة سعد حامد ، وباقـة من المحاضرين والشعراء والنقاد المتمكنين : عباس خضر ، صالح جودت ، والدكتور عبدالقـادر القط هنالك تـرى القصاصات : هدى جاد وصوفي عبدالله ، وجاذبية صدقي ، وحنيفة فتحي ..ويطل على الجمع احيانا يوسف السباعي ونجيب محفوظ وكانت لطـه حسين وتوفيق الحكيم مـن قبل جلسات حافـلات .

ومنذ عهد ليس بالبعيد كان للسيدة جاذبية صدقي صالون طالما حظي بشعر جليلة رضا ، واحاديث عبدالحليم عبدالله ، وعبدالله شمس‌الدين ، واستمعنا فيه الى غناء منيرة المهدية ، وحديث الدكتـور هيكل وطرائف شوقي اميـــن .

ومنذ سنوات كانت تعقد ندوة جميلة العلايلي فـي عين شمس ويحضرها كثير من الشعراء والادباء ، باسم «مجمع الادب العربي» .

وهكذا جرت الذكريات بأحاديث الندوات القريبـة حين ظهر كتاب «الندوة البدرانية» الذي نظمـه وكتبـه محمود جبر وسلك فيها صورا شعرية لرواد هذه الندوة، التي ما زالت حفية بالشعر العمودي، وفي مجال الانسانيات والتصوف والعاطفة الدينية المشرقة السمحة .

ولا شك أن هذه الاسماء التـي حوتهـا النــدوة البدرانية تكاد تكون قاسما مشتركا اعظم على كـل ندوات الادب والشعر في القاهرة اليوم ، وقد احببت ان ارسم من خلالها صورة سريعة لعلها تعين الدارسين والباحثين من بعد على دراسة اوسع .

والحق ان هذا الجانب من الصور الاجماعية ما زال محتاجا الى جهد كبير والى تجميع وتنسيق ، فذلك تراث حي يوشك ان يضيع ، ومنذ كانت ندوات مي ، وآل عبد الرازق ، والاهرام ، وسبلندد بار ، وصولت الحلواني ، وقهوة المحافظة ، وقهوة الحلمية ، وقهوة بـاب الخلـق ، وقهوة الفيشاوي .. ومن قبلها قهوة متاتيا ذلك تاريـخ طويل جدير بالعناية والدراسة ، ولعله ان يتاح لنا اعداد حلقة جديدة عن صورة العصر مـن ١٩٣٩ الـى اليـوم استكمالا للحلقة الاولى التي نشرناها في كتابنا «الشرق في فجر اليقظة» عن الفترة من ١٨٧١ الى ١٩٣٩ وذلـك جهـد لا يضيـع .

القاهـرة انور الجندي

انحدار البطل في الرواية المصرية

بقلم يوسف نوفل

* * *

منذ اهدى الدكتور محمد حسين هيكل روايته الشهيرة «زينب» الى مصر بهذه العبارات الشاعرية : «الى مصر ... الى هذه الطبيعة الهادئة المتشابهة اللذيذة .. الى هؤلاء الذين احببت واحب.. الى بلاد بها ولها عشت واموت.. الى مهبط وحي الشعر والحكمة اول الازل ».. منذ ذلك الحين ، والرواية المصرية تخطو خطوات منتظمة في تطور صاعد على يد كتاب ، جمعوا بين الموهبة والدراسة والمعاناة .

وهم الى ذلك اكثر الناس احساسا بمحاصرة مجتمعهم لهم ، وخلعه عليهم ارفع المنازل ، بما تحسدهم عليه بعض الفنون الاخرى ، فأخذوا يعكسون التفاتاته على الورق ، وشعروا بذلك الرباط الذي يشدهم الى قارئهم ، فلم يداعبوا اوراقهم للتسلية ، ولا لمجرد التسجيل ، بل لان شاطئا آخر يترقب شراعهم الدائب الحركة ، ويفسر انعطافاته وخفقاته ، بل ويستجيب لايماءاته .

والظاهرة التي تثير الاهتمام ، والتي ينبني عليها جزء كبير من تفسير مبنى الرواية ككل هي نهايتها .

فالى اي مآل كانت نهايات ابطال الرواية المصرية؟

سنقتصر هنا على نماذج قليلة للاساتذة : نجيب محفوظ ، ويوسف ادريس ، وكامل الكيلاني ، لنلتقط اربع نهايات او انحدارات لابطال متنوعين في الجنس ، والتكوين ، والموقف ، والنظرة للحياة .

الانحدار الاول : موت (سعيد مهران) بطل رواية «اللص والكلاب» لنجيب محفوظ .. يموت بعد ان اطلق على نفسه الرصاص حين ضيق البوليس الخناق عليه بالصحراء «وكف عن اطلاق النار بلا ارادة وتغلغل الصمت في الدنيا جميعا ، وحلت بالعالم حال من الغرابة المذهلة ، وتساءل عن ...ولكن سرعان ما تلاشى التساؤل وموضوعه على السواء ، وبلا ادنى امل ، وظن انهم تراجعوا وذابوا في الليل ، وانه لا بد قد انتصر ، وتكاثف الظلام فلم يعد يرى شيئا ولا اشباح الصور ، لا شيء يريد ان يرى ، وغاص في الاعماق وبلا نهاية ، ولم يعرف لنفسه وضعا ولا موضعا ، ولا غاية.. وجاهد بكل قوة ليسيطر على شيء .. واخيرا لم يجد بدا من الاستسلام فاستسلم بلا مبالاة .. بلا مبالاة » .

وموت (سعيد) بهذه الصورة يؤكد لنا ان جنون العظمة المتوهم لديه ادعاء زائف ، فهو مشرد يعاني ما يعانيه ضحاياه ، بل يزيد .

وموقفه العدائي من المجتمع ، وليد ظروف عديدة ، تجمعت وتلاحمت لتصب في قناة واحد ، قناة سوداء ، ماؤها الخيانة ، وتربتها الاغراء ، خيانة الصداقة ، وخيانة الزوجية ، وخيانة الكلمة ، الى آخر مدى وصلته الخيانة . واغراء الكسب ، والشهرة ، والنجاح ، والطعام، والجنس وغيرها من صنوف الاغراء .

فهل كان انتحار سعيد مهران او انحداره اختياريا ام قهريا ، هل حاكى كليوباترا مع اختلاف في اخراج المشهد، ام انه اضطر الى ذلك اضطرارا ؟.

انه مضطر ومقهور ، لانه يحاط بالكره واليأس ، ولان الارض تميد تحت قدميه ، ولان نظرته الزجاجية قد تهشمت جدرانها فلم تعد صادقة الرؤيا .

الانحدار الثاني : موت (عزيزة) احدى نساء عمال الترحيلة (الغرابوة) ، وبطلة رواية «الحرام» للدكتور يوسف ادريس ، بعد ان تفتضح ، ويعرف الناس سر الجنين غير الشرعي الراقد بين احشائها ، وتجلس القرفصاء ، وكأنها تتهيأ للولادة ، وتصرخ ، وتمسك بعود الصفصاف الذي احترق نصفه ، والذي سيقدر لشجرته ان تصير دواء لعقم نساء القرية ، وتطبق بأسنانها عليه بجنون وتئن ، ويداها تعتصران الطين ، فيتحول الى تراب جاف ، وفجأة ، وكأن شيئا طق في داخلها ، تتهاوى ممددة لا حراك لها .

وعزيزة ضحية تسلط الكبير على الصغير ، والقوي على الضعيف ، وضحية مجتمع الريف المغلق الكثيف الظلال ، وضحية استجابة سريعة حمقاء لاغراء شاب يتمكن منها مرتين في فرحة لقاء سريعة غير مسبوقة بمقدمات ينجم عنها ثمرة لا تستطيع ان تنسبها لزوجها ، لانه لا يملك مبررات ذلك النسب .

هنا تهرب عزيزة من الحياة .. بمحض ارادتها ، متخذة هروبها وسيلة تتغلب بها على شيء حدث ولن يصلح امره ابدا .

الانحدار الثالث : بسيمة احدى ابطال «الطريق الطويل» للدكتور نجيب الكيلاني ، تذهب للاسكندرية ، لتعمل في احد بيوتها ، ثم تشن غارات الحرب العالمية الثانية ، فتأتي على البيت ، ويعجز والدها عن الاهتداء اليها ، وتنقطع اخبارها فترة ليست بالقصيرة ، ثم يكتشف اهلها وعلى رأسهم اخوها سعيد الذي يتهيأ لتحقيق امله الكبير في الالتحاق بالكلية الحربية ، يكتشفون تغرير سيدها بها واعتدائه عليها ، وينضاف الى ذلك ما عانته في الغارات ، فطار لبها ، والقت بنفسها في البحر ، لتنقذ ويذهب بها لمستشفى الامراض العقلية ، ليهتدي اهلها اليها ، وبينما يؤدي اخوها دوره كضابط في معركة بورسعيد ، تنتحر فوق شريط القطار .

وهنا يبدو الضياع والذوبان والتضعضع الذي تحدثه

طائر الشتاء

تسأل عن اسمي الذي يندس في الزبد
تسأل عن وجهي الذي يصلبه الجسد
تسأل عن قلبي الذي يأكله الحسد
تسأل عن بيتي الذي لا يعرفه أحد

كنت وحيدا مثل طائر الشتاء .
تشد قلبي وحشة ممتدة الجدران
انتظر الارض ان تخضر والانسان
ان يزرع البذرة في التراب
ان يروي الزهرة في التراب
ان يضرم الجذوة في الرماد
ان يدفق الانهار في الرماد

لكنني كنت غريبا مثل طائر الشتاء
افرح لو أشم رائحة المساء
تفوح (من نافذة) تأتي مع الشمس ولا تعود
لانتشي بخمرة الاصحاب والنساء

لكنني كنت حزينا مثل طائر الشتاء
أخاف ان يدركني البكاء
في وحشة الجناز والعزاء
وغربة السهوب والعراء

لكن قلبي كان كالنهر في غضب
لكن قلبي كان كالجثة من خشب
لكن قلبي كان كالتاج من قصب .

الليل يا صديقتي طويل
الحزن يا صديقتي ثقيل
الخطو يا صديقتي بلا دليل

•

احمد تسوكي

•

تطوان ـ المغرب

هزات الحروب ، وهنا الانهيار في الآمال الخادعة والوعود الكذوب ، وقد يكون لالتقاء الشرق بالغرب ، في مطلع القرن العشرين ، وما تبعه من تزلزل في القيم الاجتماعية فاعلية هنا الا ان عدة ملامح تدعو للمقارنة حقا بين الجو المحيط بالانحدار هنا والجو المحيط بالانحدار في « بداية ونهاية » لنجيب محفوظ ، فهنا سعيد الضابط ، وهناك حسنين ، وهنا سعيد مطعون في سريره من اثر معركة بورسعيد ، وهناك حسنين مطعون في مركزه وآماله وتطلعاته الاجتماعية ، واخيرا ،وهو الاهم ، هنا بسيمة ، وهناك نفيسة ، وان اختلفت وسيلة الانحدار ، حيث تنتحر في مياه النيل .

الا ان الانحدار في «الطريق الطويل» انحدار الامتهان والتغرير والجنون ، اما في «بداية ونهاية» فانحدار الفساد والاثم والغواية .

وهكذا تتعدد النهايات ، وتختلف المصائر ، مع اتحاد الدوافع ، انه الستار الكثيف الذي يحيط بالبطل ،فيعمي عينيه عن كل شيء ، ويقوده سليب الارادة الى حيث يتم الانحدار .

ولكن هل هو تأثير البيئة كما يقول هيبوليت تين ام انه شيء يرجع لاستبطان الكاتب ؟ انه كلاهما معا .. ما يجثم امام عين الكاتب ، وما يحسه ، المنظور والمحس معا ، مع استوائية النظرة للبطل مختلف التكوين ، والتفكير ، والبنية ، والجنس .

بور سعيد — يوسف نوفل

أخذت سلوى تذرع الغرفة جيئة وذهابا وترمق ساعة الحائط بين لحظة واخرى بنظرة واجفة تفصح عما يعتمل في أساريرها من قلق وتوتر . ووقفت عند النافذة تطل على الشارع الرحيب الزاخر بالحياة والحركة علها تلمحه قادما من بعيد . ولكنها لم تبصر شيئا فعادت الى الاريكة تقلب صفحات المجلة ذاتها بنظرات ساهمة . ما باله تأخر يا الهي ؟ الا يعرف انني أترقب عودته على احر من الجمر . لقد اصر كعادته ان يذهب وحده الى الطبيب ولم تلح على مرافقته لانها تعرفه شديد الحساسية لا يريد ان يتدخل احد في شؤونه الا في امس الحاجات .. لقد مضى على زواجهما الان عام ونيف ومع ذلك فقلما شعرت في دخيلة نفسها يوما ان زوجها ضرير .

وافتر ثغرها عن ابتسامة عريضة وهي تستعيد ما قالته لها امها قبل الزواج : امجنونة انت يا سلوى . تتزوجين من ذلك الضرير لكي تقومي بدور الممرضة طوال حياتك . انه سيعتمد عليك في كل شيء ولن تستطيعين الصبر والصمود طويلا . انها تبتسم لهذه الاقوال ، فزوجها اعند من ان يعتمد عليها في شيء . فهو يعرف طريقه في ارجاء المنزل كأي انسان مبصر بل انه يفرط احيانا في الاعتماد على نفسه .

ورفعت سلوى بصرها مرة اخرى الى الساعة الكبيرة تحدجها بنظرة ناقمة بينما اخذت اصابعها تجوس شعرها الفاحم القصير . ليته لم يسمع ابدا بهذا الطبيب الجراح . فالقضية ميئوس منها ما في ذلك ريب . ان اعادة البصر الى انسان فقده منذ زمن طويل ليس بالامر اليسير . فالعلم ما زال يقف عاجزا حيال ذلك وان تكن شهرة هذا الجراح قد طبقت الافاق . الشهرة العظيمة شيء واجتراح المعجزات شيء آخر .

علا صرير مزلاج الباب فخفق قلبها بسرعة . انها تمنت ان ترى اليأس باديا على وجهه وما ان تقدمت بضع خطوات نحو الباب حتى القت نفسها بين ذراعيه ترفعانها في نشوة راقصة .. انها اخبار مفرحة ، يا حبيبتي... مفرحة للغاية . حملقت في وجهه بذهول : هل تقصد.... ولكنه لم يدعها تتم جملتها ففمر ثغرها بالقبلات صائحا : نعم ، ستكون عملية جراحية دقيقة ، ولكن الامل كبير . لقد حددنا كل شيء يوم الجمعة القادم ... انني لا استطيع الانتظار . وراح يصف لها تفاصيل مقابلته للطبيب بفرحة متهدجة بينما توسدت صدره وغرقت في تفكير عميق .

تعاقبت الايام التي سبقت العملية



بقلم فوزي فريج

ببطء شديد كانت سلوى فيها شاردة الخواطر يستبد بها الصمت والسهوم وما ان حل مساء الخميس وانتقل زوجها الى المستشفى حتى احست باجهاد لم تشعر به من قبل فدلفت الى سريرها وراحت في سبات عميق طويل . كانت الساعة المحددة لاجراء العملية هي الحادية عشرة . لم تدر ماذا ستفعل في صباح ذلك اليوم فراحت تسير في شوارع المدينة بلا هدى تجرها قدماها حيثما تشاءان . وما ان دقت الساعة منتصف النهار حتى هرعت الى الهاتف لتتصل بالطبيب وضربات



قلبها تحبس انفاسها . وتهادى الى سمعها صوته الهادىء يقول : اهنئك يا سيدتي... لقد نجحت العملية . سننزع الضمادة عن عينيه بعد اسبوع وسيرى زوجك النور من جديد .

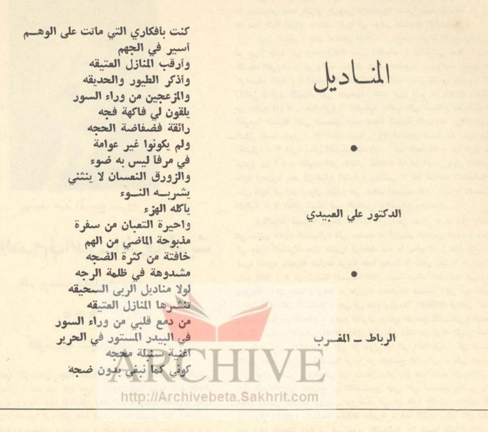
وضعت سماعة الهاتف في غيبوبة من النشوة الملهوفة واغرورقت عيناها بالدموع . احب انسان لديها سيرى النور من جديد .. أعز واغلى امنية، اروع واعظم فرحة . وراحت تتصور اللحظات الرائعة عندما يعودان الى بيتهما ويراه وليد للمرة الاولى ... يرى الاشياء التي لا يعرفها الا لمسا او كما وصفتها له .. يرى الزهور في الحديقة ..وقمة الجبل.. والشفق الارجواني ... والكتب التي كان يحب ان تقرأها له .

وفجاة احست بقلبها يخفق وبدفقة من الثلج تمور في حناياها : انه سيراها هي للمرة الاولى . لقد نسيت هذه الحقيقة في غمرة افراحها . وسرت رعدة صقيعية في اوصالها جعلتها تتهاوى الى اريكتها وقد ملكتها القشعريرة . يا الهي ...انه دائما يصر على انني اجمل امراة تقع عليها عينا انسان . والان سيراني على حقيقتي .

وسارت متباطئة الى المرآة تحدق مليا في ذقنها المستطيلة وانفها العريض وشعرها القصير المشعث الذي لم تنجح احدث المستحضرات الطبية في تصفيفه وتنسيقه . لا لن تستطيع مواجهة نظراته عندما يحملق فيها للمرة الاولى . لن تستطيع رؤية تعابير وجهه التي ستنقلب من ترقب مثير وتوق مجنح الى دهشة وهلع .

لم تبرح هذه الافكار مخيلتها لحظة واحدة لكأنها سفود من النار يراوح ويقترب من وجنتيها لاذعا اليما .

وكانت تعوده في المستشفى كل يوم تتملى بأحاسيسها المتوفرة كل لحظة من لحظات اللقاء . وكان على غاية السعادة يمسك بيديها ويحادثها



المناديل

الدكتور علي العبيدي

الرباط ــ المغرب

كنت بافكاري التي ماتت على الوهـم
أسير في الجهم
وأرقب المنازل العتيقه
وأذكر الطيور والحديقه
والمزعجين من وراء السور
يلقون لي فاكهة فجه
رائقة فضفاضة الحجه
ولم يكونوا غير عوامة
في مرفا ليس به ضوء
والزورق النعسان لا ينثني
يشربـه النـوء
ياكله الهزء
واحيرة التعبان من سفرة
مذبوحة الماضي من الهم
خافتة من كثرة الضجه
مشدوهة في ظلمة الرجه
لولا مناديل الربى السحيقه
تنشرها المنازل العتيقه
من دمع قلبي من وراء السور
في البيدر المستور في الحرير
أغنية سنبلة مججه
كوني كما نبغي بدون ضجة

بحماس طفولي مثير . وفي مسـاء الخميس التالي كان يتحرق لهفـة وترقبا : غدا عندمـا ستأتيـن يـا حبيبتي ساتمكن من رؤية وجهك الحلو لاول مرة في حياتي. هل تدركين ما معنى ذلك يا حبيبتي ؟؟

كانت ليلة الجمعة ليلة ارق وسهد ودموع. وفي صباح الجمعة وقفت سلوى امام صوان الثياب تتأمل مـا عندها من لباس بيأس وفتور . ماذا ستنتقي لهذا اليوم السعيد الرهيب من ثياب . واخيرا استقر رايها على فستان اصفر من الكتان ليناسـب بشرتها الشاحبة وشعرها الداكن . واستبد بها تحد يائس وهي تسيـر في دهاليز المستشفى الطويلـة فـي طريقها الى غرفته .

امسكت باكرة باب الغرفة وترددت في الدخول لحظات حسبتها دهرا. كان قلبها يدق بعنف وصدرها يعلو ويهبط . واحست بخور ودوار عندما فتحت البـاب ببـطء ودلفت الـى الغرفة . كان زوجها يجلـس علـى السرير منتصب الظهر وعيناه مثبتتان عليها وهي تقترب بوهن من السرير وتتخذ جلستهـا قبالـه . وكانـت ساقاها ترتجفان دون ارادة منها .

كان يحملق فيها وسيماء العجب يطفي على محياه . وظل هكذا لحظات لا ينبس ببنت شفة . واخيرا همس في عينيها : سلوى ... انك رائعة ، رائعة . خفضت راسهـا وسمعـت صوتها وكأنه يجيء مـن قـاع واد سحيق : كفى هزءا بي يا وليد ...

لقد رايتنـي الان علـى حقيقتـي . وانهمرت دموع سخية تبلل وجنتيها الشاحبتيـن .

طوق خصرها بيمينه واخذ يرشف دموعها بشفتيه وهو يتمتم : سلوى اصغي الي .. انني أعني ما أقـول بكل ذرة من كياني ... انت رائعـة فاتنة ، كما كنت اتصورك دائما .. انك طبق الاصل للمراة التي كانـت في خاطري .. البـراءة والعذوبـة والحنان .. الا ترين سعادتي ؟؟

رفعت ناظريها الـى عينيـه ... كانتا دوحة من الحب وارفة . فلـم تلبث ان دفنت راسها فـي صـدره وهي تهمس : ضمني الى عينيك... الى دنياي الجديدة .

رودس — فوزي فريج



يوسف عبد المسيح ثـروة

الخواء والعدم في الادب الغربي الحديث

بقلم يوسف عبدالمسيح ثروة

* * *

اللوحـــة الســـوداء

من يتصفح الادب الوجودي يجده مليئا بالتشاؤم والتحسر والتكسر والانحدار والتبعثر ، كما يجد فيه ضبابا اسود خانقا معتما يسد الافاق ويعمي الابصار ، ويزداد هذا التشاؤم وما اليه ، وهذا الضباب وما يصفه ، كلما زاد تصفح المرء لمثل هذا الادب . اما المتمعن فيه ، الدارس له ، المقتفي لموارده ومنابعه ومصادره ، فانه ليعجز عن وصف ما يرى ويسمع ويتأمل ويفكر ، لانه سينحدر الى دوامة صخابة تتطاير منها شياطين التوجع والانين والتفجع والحنين والتألم المر والمعاناة المزلزلة والغثيان الآخذ بالنواصي والرقاب والسأم القاتل البطيء ، والشذوذ بالوانه والكمد المروع بفصائله وانواعه ، والجزع المراوغ ، وخدرالحياة الطويل الصفيق والانغلاق الذاتي ، في بوتقة الانا ، بعيدا عن جحيم الاخريـــن .

وطبيعي الا يكون مصيره في هذه الدوامة الماكرة المحتالة ،المجنونة العاتية غير الفناء والاندثار ، وما هذه الدنيا بذات قـرار ! فالفرار الفرار من الدنيا من المجتمع ومآسيه ومخازيه ومباذله ، الـى دنيـا الذات ، الدنيا الاخرى العامرة.وكل هذه امور تتوارد متلاحقة متشبثة بعضها برقاب بعض ، متسارعة الى الذهن كلها حمل احدنا حملا علـى مطالعة كتاب من كتب هذا الادب الذي اخذ سيله يجرف ببلادنا مـا ينتصب في سبيله من عراقيل بيسر وسهولة .

ومن الكتب التي احدثت دويا ، في عرضها لهذا الادب ، كتـاب للكاتب الانكليزي المعروف كولن ولسن بعنوان «الغريب» او «اللامنتمي» على حسب ترجمة الاستاذ انيس زكي حسن ، ولما كان النص الاصلـي اوقع في النفس بداهة تناولته على عجل وشرعت اقرأ فيه بنهم شديد بعد ان تصفحت فصوله الاولى فوجدت فيه امورا بالغـة الخطورة ، وقضايا حساسة ومشاكل دقيقة متشابكة ، وهذه امـور دفعتني الـى دراسة الكتاب دراسة جدية وها انا فاعل ذلك !

في الفصل الاول المعنون «بلد العميان» يستعرض كولن ولسن اول ما يستعرض قصة هنري باربوس «الجحيم» منتقيا منها المشاهد ما يريد تقديمها الينا نماذج يستند اليها في عرض فلسفته اللامنتمية .

يقول البطل : «لم استطع المقاومة ..تبعت امرأة كانت ترقبني.. ثم سرنا جنبا الى جنب وقلنا بعض الكلمات ، واخذتني معها . ومـر المشهد المعروف . مر وكأنه سقوط عنيف مفاجيء . ورأيت نفسي على الرصيف ثانية . لا اشعر بالطمانينة التي كنت آمني نفسي بها... كنت وكانني لا ارى الاشياء على حقيقتها .كنت ارى اكثر من اللازم واعمـق من اللازم (١) » . هنا الرؤية الطبيعية تنقلب الى انسلاخ وغربة بدافع الفردية العنيفة التي تنسحق تحت عجلة الحياة السريعة .ولذا نـرى البطل نفسه يقول : «لا املك شيئا . ولا استحق شيئا..لا شيء يمكن اختياره ، لا شيء يمكن التشبث منه (٢) . اما الحقيقة ، فيا ترى ماذا يعنون بها ؟ » و «الموت اهم الافكار اطلاقا» ها ان البطل يعلن افلاسـه ماديا ومعنويا بعد ان ضاع اختياره وتلاشى ، كما ضاعت الحقيقـة ، حتى انها لم تعد سوى غمامة من غمائم الصيف ازاء ريـاح السمـوم العاتية ، لا تنتظر شيئا غير التلاشي والضياع والاندثار .

وبالتفاتة قصيرة يتوجه الكاتب الى آخر اعمال هـ.ج ولز «العقل في منتهى حدود الاحتمال» لكي يجسد له الانهيار الحتمي للمدنية وضياع كل جهود البشرية هباء منثورا فيلتقط منه ما يحلو له : «ان نهاية كل شيء ندعوه بالحياة صارت قريبة جدا بحيث لا يمكن تجنبها ». ويتابع رأيه قائلا : « ان شاشة السينما امام اعيننا وتلك الشاشة هي واقع وجودنا . ان حبنا وكرهنا ، حروبنا ومعاركنا ليست اكثر من اطياف ترقص فوق تلك الشاشة ، هي في عدم وجودها كالاحلام» فرفض الحياة وعدها حلما من الاحلام ، وعدم الاقرار بواقع المجتمع الانساني والتنصل عن كل تبعة ، واليأس القاتل وهل ادل على ذلك من قوله (ليس هنالك من طريق الى الخارج او الى ما حول او الى الداخل) ؟ كل هـــذه الامور تجعل من ولز لامنتميا غريبا عن المجتمع الانساني ـ على حسـب راي كولن ولسن ـ وطبيعي ان يستغل رأي ولز هذا اشد الاستغلال من قبل الغرباء على المجتمع من اللامنتمين حتى الى انفسهم وعلـى رأس هؤلاء ولسن بالذات .وليس من شك في ان هذا الكتاب يخالف كـل آراء ولز وافكاره السابقة مخالفة جذرية ، فما الذي ساقه الى ذلـك بعد ذلك الجهاد الطويل في تنوير الانسانية ولا سيما بكتابه الفريـد «موجز التاريخ» ؟ لم يخطر هذا السؤال على بال الكاتب من طرف قريب او بعيد بشكل موضوعي ، لانه لا شأن له به ، فهو لا يريد ان يحلـل الآراء التي يستعرض قسما منها الا لغرض معين هو التوكيد على التشاؤم الهائل الذي يلف في اعصاره كل المفكرين العاجزين عن ايجاد حلـول لمشكلات مجتمع منهار ، ودليلنا على ذلك قول الكاتب «يعتبر هـذا الكراس اشد نزعة تشاؤمية في الادب الحديث بعد كتاب ت.س اليوت «الفارغون» . فاما يأس اليوت فهو ، في جوهره ديني.وكنا سنقول ذلك نفسه عن يأس ولز لولا اصراره على الادعاء بانه يتحدث عـن حقيقـة علمية ، عن واقع موضوعي » ، وهكذا يجمع الكاتب بيـن حصيلتيـن تشاؤميتين ، بين (ادعاء علمي) حانق عنيف وبين شعر اصفر شاحب كالح وكل ذلك بغية تبرير آرائه وتثبيت مقولته «بلد العميان» التـي استعارها من ولز نفسه لوضع عنوان الفصل الاول من كتابـه . واذا طرأ ومر السؤال آنف الذكر بذهن الكاتب فهو يمر بهذا الشكل الساذج «كان ولز مريضا متعبا حين كتب «العقل في منتهى الاحتمال» . ألا يمكن اذن ان نقبل هذا كسبب رئيسي كامن وراء هذا الكراس؟ » ويجيـب الكاتب عن سؤاله «لسوء الحظ ، لا ، فقد صرح ولز بأن استنتاجاته موضوعية» . وهذا الجواب هو نفسه الذي يسعى اليه الكاتب متشوقا متحرقا كي يعزز الفكرة التي يريد تعزيزها بكل ما استطاع من حـول وقوة . ومن هنا يستشهد بقول ولز «الاعور في بلد العميان ملك» . اذ هو الوحيد الذي يستطيع ان يرى ما يرى ، على الضد من العميان

جميعـــا .

ومن باربوس وولز ينتقل الكاتب الى (غثيان) سارتر فيقول ـ في معرض اهتمامه الشديد بسارتر « يجمع سارتر بمهارة فائقة ... كل النقاط التي تفحصناها حتى الان في.. حديثنا عن ولز وباربـوس : اللاحقيقة ، رفض الناس للمقاييس الحضارية، واخيرا (شاشة السينما) التي تعرض الوجود العاري» وهذه الاسباب متكاتفة هي التي تضطـره الى ان يستشهد بقول البطل روكانتان : «اعيش وحيدا ، وحيـــدا تماما ، ولا اكلم احدا اطلاقا ، لا آخذ شيئا ولا اعطي شيئا..»الوحدة القوقعية هذه وحدة فولاذية الجدار ، ان قبع فيها الانسان تلاشـت انسانيته وتبعثرت حتى فرديتهوذهب به انسلاخه مذهبا ابعد ما يكـون عن حظيرة المجتمع ، وهذا ما نراه واضحا عندما يستيقظ روكانتان بغتة من سباته العميق فيقول : «وفجأة ، استيقظت من اغفاءة ســت سنوات ...ولم استطع ان افهم لماذا كنت في الهند الصينية ، وماذا كنت افعل هنالك ، ولماذا كنت أحادث اولئك الناس ؟... كان امامـي بحر رابض بكسل وخمول ، بحر هائل ، تافه لا طعم له ... ولـم ار بوضوح ماذا كان ، الا انه ملأني بالاشمئزاز ، حتى انني لم اعد استطيع النظر اليه». وفضلا عن الوحدة القتالة يملأ الاشمئزاز نفس البطل حتى يغرقه «انني لا استطيع ان اوضح ما أرى...الى كائن من كان ... انني اغوص الى اعماق الماء...الى الخوف..»

وفي هذه البيئة المرعبة من ـ القذارة والظلام ـ تتبدى حقيقـة شخصية روكانتان ولا سيما حين يقول «ليس الغثيان في داخلي ، انني احس به في خارجي ، هنالك في الحائط ، في الحمالات ، في كـل مكان حولي ..انه يتصل مع الكازينو ليشكل شيئا واحدا وانا فـي داخل ذلك الشيء» .يقول الكاتب بهذا الشأن وهو على حق « يذهـب سارتر الى ابعد مما ذهب اليه اي كاتب من قبل ، في التأكيد علـى ـ الظلاموالقذارة ـ اذ لم يسبق ان اعطى جيمس جويس او دوستويفسكي مثل هذا التأثير عند وصفهما العقل الفارق في القذارة الجسدية » .

« واذن اليس من معنى محتمل لهذا الوجود ، اليس من سبـب وغاية له (٣) ؟ » . سؤال في مكانه يضعه الكاتب ليرى رأي روكانتان فيه ، فاذا بالجواب يأتي على هذا الشكل «هنالك كينونة عدم الجدوى مع معرفة هذه الكينونة ، وكينونة عدم الجدوى مع عدم معرفتهـا ». ومن ثم فـ «ان الانسان هو عاصفة غير مجدية» على حد تعبير سارتر .

وعلى ذلك فان الانسانية ليست الا سائمة من «الكلاب القذرة» كما ورد ذلك بالحرف الواحد في «الرجال الفارغون» لاليوت . وهكذا فان اللامنتمي «هو وحده المدرك للحقيقة ، ولو كان الناس جميعا يدركونها فستكون تلك نهاية الحياة..لان الاعور في بلد العميان ملك. علـى ان ملكيته هذه هي ملكية على لا شيء ، فهي لا تمنحه قوة ولا امتيـازات وانما تفقده الايمان.ان عالم هذه الملكية هو عالم بلا قيم.» وبهذه الصورة العنيفة يلخص الكاتب آراء اليوت وسارتر وولز تلخيصا متزنا معقولا . ومع ذلك فان الانسان يبحث عن شيء اسمه الحرية ويتشبث بها كأنها موجودة في الواقع الموضوعي ، الا ان هذه الحرية لا وجود لها ومـن السخف والبلاهة البحث عنها كما يقر ذلك كل من ولز وسارتر .

«عالم بلا قيم» بهذا العنوان الصارخ يفتتح الكاتب الفصل الثاني، وهو بذلك يحاول الامساك بذهن القارىء للسير معه في متاهة جديدة بعد ان حاول انتزاع الايمان منه بمستقبل الانسان ، وبعد ان وضـع يده وقلبه وعقله على العروق «الميتة» «الجوفاء» من كيانه . فلنر ماذا يريد ان يفعل به بعد ايصاله الى هذه العتبة التي ترتكز عليها بوابـة «الظلام» . فاول ما نصادف نصادف غريب كامو الذي لا يفتقد العبقرية والمشاعر غير الاعتيادية حسب بل هو يكاد يفقد أي مشاعر ايضا . وهذا البرود الجليدي يتضح اكثر ما يتضح في قول بطل «الغريب» لكامو : «ماتت امي اليوم او بالامس .انني لست متاكدا» .وبهذا الكلام الخاوي يتحدث ميرسول عن والدته كأنه يتحدث عن موت كلبة سائبة ، لا عن ام جاءت به الى الوجود. ويستمر كلامه منحطا الى الحضيض الـى ان يبلغ الامر به ان يقول بوعيه الكامل مطالبا اجازة من مخدومه لدفـن امه : « آسف يا سيدي ، غير انها ليست غلطتي كما تدري» .ويستدرك على قوله ذلك بمناجاته لنفسه «انني لم اكن في حاجة الى ان اقـول ذلك ...لان عليه هو ان يعبر عن شعوره نحوي في هذا الصـدد » . والانكى من ذلك كله هو استحمام ميرسول في صبيحة اليوم التالـي لوفاة والدته واتصاله بفتاة جديدةكأنها كانت على موعد مع وفاة والدته، وما ان يحل الليل حتى يتم اتصاله بها جسديا . وهنا يشعر الكاتب بفداحة هذا البرود فيعلق عليه قائلا بعد ان يقارن هذا الجـو بجـو (الارض اليباب) « ذلك هو الجو الذي يصوره اليوت ايضا في (الارض القفراء) ... ان ما يدهشنا عند المقارنة هو عدم وجـود الاستهجـان الخلقي في كتاب كامو ، اذ ليس هنالك ما يوحي بان كامو يريدنـا ان نلوم ميرسول على خموله التافه» لكن الكاتب بعد ان يبدي هذه الملاحظة الانسانية الصائبة يستدرك وكأنه ندم على قوله السابق فيقول : امـا الشيء غير الاعتيادي في ميرسول فهو امانته ، فان الفتاة تسأله ان يتزوجها فيوافق في الحال : «ثم سألتني ثانية عما اذا كنت احبها . فاجبتها بان سؤالها يعني لا شيء او انه قريب من اللاشيء ، الا انني اضفت اني لم اكن احبها.»

ان هذا البرود العجيب يصل الى ذروته في حادثة الثأر القديـم التي يشترك فيها ميرسول في صف السمسار الفرنسي ، انه يقتـل رجلا عربيا اعزل ، وحين يجابه الحكام بعدم اكتراث محير ، يعدونـه لاول وهلة تحجر قلب اجرامي فظيع ، وبعد ان يسرد المدعي العام حادثة الاستحمام وصلته بالفتاة يحكم عليه بالموت ، فيزوره القس في زنزانة الاعدام وهناك تنفجر نفسه انفجارا مدويا فيقول «لا شيء .. لا شـيء مهم اقل اهمية وقد عرفت جيدا لماذا... لقد كان يهب علي من افـق مستقبلي المظلم نسيم مستمطر بطيء ... يعادل كل الافكار التي حاول الناس ان يحشروها في ذهني خلال السنوات اللاحقيقية التي عشتها.. كل شيء سيحكم عليه بالموت يوما ما .وسيأتي دوره ايضا كالاخرين ».

ومن ثم فان شعوره بالخواء ، باللاحقيقة ، بالعدم ، هو الشعور الوحيد الباقي على الزمن ، وما الموت الا حالة يقظة.لكن هذه اليقظة (جاءت متأخرة) الا انها «اعطته ...فكرة عن معنىالحرية.الحرية هـي انفكاك من اللاحقيقية» على ما فسرها الكاتب استنادا الى ما صدر من ميرسول من اقوال .اما سارتر فيصب مقولة ميرسول بشكل افصـح واوضح اذ يقول «الحرية هي الرعب» ولذا فهو «لم يشعر بكامل حريته وحياته الا في ايام الحرب» . ثم يضيف الكاتب تفسيره الخـــاص بالحرية الى ما سبق بقوله : «ان الحرية ليست كونك تفعل ما تريد. انها شدة الارادة ! وهي تظهر في اي حالة تحدد الانسان وتزيد مـن ارادته في الحياة » (٤) .

وبعد ان يستعرض كاتبنا مشهدا طريفا من قصة (وطن الجنـدي) لارنست همنغوي ينقض على (والشمس تشرق ايضا) فيقول عنها : ان فيها «جوا خانقا من التفاهة واللابطولية ، فبطلها جاك بارنز يخـوض غمار الحرب ويصاب بجرح خطير يجعله غير قادر على الاتصال بالنساء جنسيا . ان هذا الجرح يصبح رمزا لكل مأساة الحرية غير المدركة. انه يحب امرأة ، الا انها تضطر الى الاتصال برجال آخرين لاشبـــاع غريزتهـا الجنسيـة ».

وحين يريد المؤلف التطلع الى الارتباك والاغتراب والانغمارالخانق في الظلام والضياع الذي لا معنى له نراه يستعين بـ (وداع للسلاح) مقتطفا من هنا وهناك نتفا يستشهد بها ، وفي تقديمه لهذه القصـــة الرائعة يقول : ان «وداع للسلاح» تبدأ بتحليل بارع للامعنى ، للارتباك الذي يحس به الجندي في بلد غريب عنه.ان هذا الجندي يشرب في الملاهي والحانات «حيث تدور الغرفة بك فتضطر الى تثبيت عينيـك الى الحائط لايقافها» او « ليلة في فراش وانت سكران ، حين تعلم بأن

ذلك (تلك) كانت كل من معك هنالك والغرابة التي تحس بها عند استيقاظك محاولا ان تتذكر من كان معك ، بينما تجد العالم كله شيئا لا حقيقيا غارقا في الظلام» .

ولكي يثبت الكاتب الموقف الوجودي لهمنغوي يحيلنا الى كتابه (التاريخ الطبيعي للموتى) فيعلق على هذه القصة قائلا «تعتبر (التاريخ الطبيعي للاموات) اوضح الامثلة على وجودية همنغوي،كما ان عبارة «معظم الناس يموتون كالحيوانات ، لا كالبشر ، هي جوابه على الادعاء الانساني بكمال الانسان .انه لا يستطيع ان يؤمن بالذي يدعو اليه الاسقف تيلر وباليه في دعاواهما ، لان هذه الفكرة تلوح نحيلة الى جانب حقائق الوجود الخشنة » .

اما الحب الذي يتنصل منه فردريك هنري (٥) حين يحاور المرضة ، فان كاتبنا ينفيه باعتباره غير محتمل بل هو «مستحيل حين يكون هنالك معنى متسلط من اللاحقيقية» ولكنه يعود فيعترف بها قوة حية جذابة في مشهد فردريك الجريح في ميلانو ، هنالك حيث تلتقي به المرضة نفسها في المستشفى فتحنو عليه وتفتح له قلبها ، فينفتح قلبه لها عرفانا منه بالجميل ، ومقابلة منه الحب بالحب والود بالود. وهنا يسقط المعنى الوجودي للحب لينبعث المعنى الانساني .

اما الشجاعة الخارقة التي يتمتع بها سانتياغو بطل (الشيخ والبحر) والتي يلخصها اروع تلخيص وانبله واجمله بقوله «من الممكن تدمير الانسان ولكن ليس من الممكن قهره» فان المؤلف لا يرى فيها غير الشك الصاخب اللاهب ذلك بأن «الشجاعة مشكوك فيها لان الموت ينفيها.في حين ان الاسباب التي تبعثها هي عادة افيون الشعوب ».

ترى لماذا ينفي المؤلف حتى هذه السمة البارزة كل هذا البروز في شخصية سانتياغو ؟ لماذا يحاول ان يستنجد بالضباب الوجودي اللاحقيقي لسلخ الاشياء عن مسمياتها ؟ لماذا يتشبث بكل ما له صلة بالروح القدمية ، بالافلاس الروحي ، بالجانب المظلم من الحياة الانسانية، بالعواء المبحوح بدلا من الموسيقى الاخاذة ؟ وهل ادل على ذلك مما استشهد الكاتب به من شواهد فضلا عن تشبثه الشديد بـ (الحياة السرية) لهزلي غرانفيل باركر التي حدثنا عنها جورج سامبسون بقوله . «الحياة السرية : مسرحية محيرة مربكة من مسرحيات ما بعد الحرب، ترينا العالم العقلي متقلصا الى روح نهلستية، ولا شيء فيها من التمركز الدراماتيكي ، وانما يذهب الاشخاص فيها ويأتون فقط ، ويلوح الحب فيها شيئا لا دافع فيه...الحوار تارة مسرحي اعتيادي وتارة اخرى فلسفي محير ... ولا نظن ان كتابا آخر استطاع ان يوحي بالافلاس الروحي الذي سببته الحرب كهذا الكتاب .» ؟

يكفينا ان نستمع الى شيء من الحوار في هذه المسرحية لنعرف الاجوبة عن كل الاسئلة التي طرحناها منذ حين ، فهي كفيلة بتوضيح قصد الكاتب من الفصل الثاني باسره ، وهي ـ في الوقت نفسه ، تمهيد للفصول المتبقية : في المسرحية شخوص مهمة هي ايفان ستراود (الاب) وابنه اولفر كونتليت ، وجوان المرأة الثكلى التي فقدت ولديها في الحرب والتي كانت عشيقة ستراود ، وسوزان الامريكية صديقة اولفر .كان ستراود عضوا ذا شأن في حزب الاحرار ، لكنه انفصل عن هذا الحزب وافلس افلاسا معنويا ، الا ان الحزب يحاول جهده اعادته الى الحظيرة ، بعد ان افلت منها ، جاء في الفصل الاول :

« جوان : اطلق نفسك يا ايفان من يأس هذا الجحود ..

ستراود (بعبوس) : حين يبلغ الحمار منتهى امكانياته ، ويكون قد اكل كل ما في عليقته ، يبدأ بالقفز والرقص ... اليس كذلك ؟ »

وفي الفصل الثاني يقرر ستراود العودة الى الحياة السياسية ، (يلي ذلك مشهد مهم يشرح فيه اوليفر لماذا يريد ان يعمل مع ستراود) فيجري هذا الحوار بين اوليفر وجوان التي تصبح بمثابة حبيبة لكل من الاب والابن . يريد الابن ان يعرف سر فشل ابيه ، الا ان جوان لا تعترف بفشل ستراود سياسيا ، وهنا ينبري لها اوليفر قائلا :

«لا شيء اسهل من نيل هذا النجاح اذا كان يشتهيه المرء... الا ان ايفان انطلق الى ابعد من كل الخدع المعروفة .. الى قلب الاشياء.. فهل كان ذلك القلب ميتا كالحجارة الصلدة ؟. الا يجرؤ المرء ان يقول ذلك حين يكتشفه » .

ويرمز اوليفر الى هذا الفراغ الخلقي بقوله :

ـ «لقد اخطأتني رصاصة خارج (البرت) ، الا انها اصابت ساعتي. كان في امكاني ان اهزها فتشتغل بضع لحظات ، الا ان النابض كان قد تحطم . وتخامرني الان فكرة تدفعني الى الاعتقاد بانني لن اتقدم في السن بعد الان ، وان موتي ، حين يأتي ، انما يلوح شيئا قديما ، او نكبة ماضية . »

وبعد ان يعترض اوليفر على ذكر «الناس المزعجين الذين يهتفون ضد الحرب» مطالبا بـ «حرب حقيقية» تسأله جوان :

ـ واين هذا العدو ؟

فيرد عليها قائلا «لو كنت اعلم اين هو لما جلست هنا يائسا ، غير اننا ننخدع بسهولة .»

وهنا نجد الشك العارم يلف اوليفر ويلفحه بسمومه حتى يبلغ به اليأس الفتاك مبلغ الضياع التام فيفقد كل امل في التمييز بين الحرب الحقيقية والحرب الوهمية ، بين العدو والصديق ، بين الابيض والاسود ، ومن هذه المعاني الموغلة في التيه والانسلاخ عن الوجود الانساني تنفقد سحب الضباب المدلهم العاتي ، وتزول معالم الطريق وتنهد الفواصل بين القيم المختلفة وتشتد عواصف الخواء والعدم ، وتتبعثر بديهيات التاريخ بدلالاته الاقتصادية والاجتماعية وتضيع جميع المثل العليا ، وكيف لا يكون الامر كذلك والشر والخواء متمركزان في طبائعنا جميعا ؟ يتحدث اوليفر الى سوزان بقوله :

ـ «ان شر ما في طبائعنا يا سوزان هو ان الاشياء التي نريدها لا قيمة لها ، اننا نريد المال ونريد السلام» .

وفي بداية الفصل الثالث تجري هذه المحاورة ذات الدلالة بين الاب وابنه :

ـ ستراود : هلا اعطيتني الكتاب المقدس ؟ اريد ان اتحقق ... اظن ان العبارة في سفر الملوك الاول الاصحاح التاسع عشر... (٦) .

ـ اوليفر : ما هي العبارة ؟

ـ ستراود : يا الهي خذ حياتي ، فانني لست افضل من آبائي. أليس ذلك اقرب الى التقدمية وخيبة الامل من جانب ايليا ؟ ترى لماذا يفرض انه موجود ؟

وعلى ذلك فان مشكلة الوجود او عدمه هي المشكلة الرئيسية ، ان كلا منهما يفرض انه موجود ، ولكنهما ليسا كذلك ، اذ وجودهما وجود لفظي غير حقيقي ، وهمي غير واقعي ، وهو اسم بلا مسمى . وليس للعدمية شيء ابعد مدى مما نطق به ستراود في التدليل على التفاهة والسخافة والجفاف الملازمة للحياة بصفتها العامة والخاصة ، بمدلولها التاريخي والفردي ، وعلى الصعيدين الانساني والحيواني . وهذا الامر يبدو جليا من دعاء ستراود : «رحمتك يا الهي ، يا من تخلق المخلوقات لتقاسي دون ان تفهم لماذا .» وبذا ينسدل الستار على الفصل الثاني بعد المناحة الكبرى على المصير الانساني .

الغريب الرومانسي

يعد المؤلف القرن العشرين (عالما جديدا) بالقياس الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وبصدد هذا القرن يتحدث قائلا « ان اللامنتمي مريض الروح ، يرى ان هذا العالم انما يبعث على الرعب ، لانه يمثل بالنسبة اليه آلية عالم الحضارة وميكانيكيته المتشعبة تشعب خطوط الاسطوانة ، والذي يلوح وكأنه يقف بينه وبين الحرية» .وبهذا الاسلوب من التعليل المبسط يضع كاتبنا اللامنتمي ازاء العالم ، في حالة يرثى لها من المرض النفسي (الروحي) والرعب المروع والانكماش

المتشرنق والعبودية الانعزالية الموغلة في الجفاف ، ذلك ان الجو الذي يحيط بهم جو مليء بالعفونة الكريهة والتلف الروحي المستمر في الازدياد والانتشار .كل ذلك لان عالم القرن العشرين عالم بالغين ، على حين كان عالم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عالم اطفال .ولذا لا تصح المقابلة بين البالغين والاطفال .كان التفاؤل في مستقبل الانسانية يسيطر على اذهان اساطين الفكر والعلم والادب ، وكان التطور ــ في شتى مجالاته ــ الطابع المميز لذلك العالم ، وبخاصة على ايدي دارون وسبنسر وهكسلي ، فانحسرت رقعة التشاؤم ، وتضاءلت ، وانتعشت مبادىء التقدم والايمان بمستقبل الانسان الوضاء ، وحلت في النفوس روح من الترقب والتشوف وحب الاستطلاع . ولذا كان اللامنتمي غريبا حقا في مثل ذلك العالم ، لان وجوده نشاز لا يعتد بـه وتصرفاتـه تصرفات صبيانية لا يكترث لها ، ولا يخشى منها ، ذلك ان اللامنتمي «انسان ليس من هذا العالم» انه طائر غريب في خميلة غناء ما ان يلبث قليلا ليجد نفسه فريدا حتى يطير متجها الى عوالم اخرى ، حيث يجد لنفسه العش المريح ، والمكان الامين ، والقوت الوفير . وهذا ما فعله كثيرون كبايرون وشيللي وكيتس ، او ان يصر على تشبثه بهذا العالم على غضاضة منه وكره ، لتقيده بضرورات هذه الحياة ، كما فعل نوفاليس وشيللر وكوليرج . وهؤلاء جميعا ، على قصر اعمارهم او طولها ، اناس حالمون ، عاشوا في هذه الحياة الخيالية في حلم طويل. وقد عبر غوته في قصته (آلام فرتر) احسن التعبير عن هؤلاء اللامنتمين الخياليين ، اذ لم يجعل من قلب بطله قلبا مليئا بالدم القاني الصافي بل قلبا مفعما بالدم الشاحب الاصفر الذي صارعه النزع طويلا حتى صرعه. وفي ذلك الجو من الاحلام العاصفة ، وبعد (فرتر) كتب شللر (اللصوص) و (دون كارلوس) .

وبعد ان (انتقلت الرومانسية الالمانية الى انكلترا) بـ (ترجمة كوليرج لاعمال شللر) وظهور (تشايلدها رولد) لبايرون ، استشرى هذا المذهب (الادبي) في تلك البلاد بصورة عارمة صاخبة ، حتى اصبحت مقومات هذا المذهب اسسا يستند اليها الادب الانكليزي يومئذ استنادا قويا. فكان ان ظهرت شخصية «الستور» لشيللي، (ذلك الشاب الذي يذوب شوقا واسى لانه لا يستطيع ان يجد في هذه الارض فتاة تشبه الفتاة التي عانقته مرة في حلم من احلامه) .

وهذا الحلم هو حلم مزمن ، ان صح التعبير ، يلازم اللامنتمي الرومانسي ملازمة الظل والى هذا اشار وليم موريس في كتابه «حلم جون بول» ولا سيما حين قال انه «حلم بعوالم جديدة» وحلمه هـذا جزء لا يتجزأ من طبيعته لانه «المغني الخامل في يوم من ايام الفراغ ».
اما العالم المحيط به فعالم مزعج مرعب مذهل ، لا يجد منه فكاكا الا في الموت الذي حدثنا عنه كيتس «لم يلح لي من قبل كما يلوح الان مليئا بالعذوبة ، ان اموت ، ان اكف عن الحياة.. بدون الم» .

ثم نأتي الى اوائل القرن العشرين لنجد جيمس جويس ، الـذي صور في كتابه (صورة الفنان شابا) اللامنتمي في حالتيه الواقعيـة والرومانسية . (اذ بينما يسأل الواقعي : «الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها؟ يقول الرومانسي «اين استطيع ان اجد الحقيقة؟» ومن طريق هـذه المفارقة يتجلى لنا الحد الفاصل بين الواقعية والرومانسية اللاهثتيـن تعبا واعياءا في البحث عن فلسفة جديرة بالبشر اللامنتمي الـذي يتمثل في جانبه السلبي (بعملاق وجودي يرفض كل الفكر لـ « انـه ينطلق وراء الفطرة الطبيعية ، ووراء الاخلاق ، انه الانسان الذي يقبض على فكرة تحريره ، ومن جانب آخر على فكرة العودة ثانية وراء القناع، ووراء الشخصية الفردية .ان انسان آل كارامازوف هذا لا يحب شيئا ، لكنه يحب كل شيء ، انه شيء بدائي وكيان روحي عملاقي ، (وهو لا يستطيع ان يعيش بهذا الشكل(٧)) وانما يستطيع فقط ان يقضـي هذه الحياة (٨) . وازاء هذا الجانب السلبي ينتفض الجانب الايجابـي واقفا ، فلنسمع الى ما يقوله اميل سنكلير في (دميان) : « ان حيـاة الانسان هي طريقه الى نفسه...ولم يحصل انسان مـا علـى الادراك النفسي حتى ، الا ان ذلك ما يريده كل انسان ، ومن الناس من يحاول تحقيق ذلك باصرار وعمل متواصلين ، ومنهم من يبذلون مجهودا اقل ، الا ان الجميع يحملون معهم بقايا مولدهم ، اللزوجة وقشور البيض ، حتى النهاية) ...(٩)

اما اهم ما كتبه هيس فقصته (ستيفن وولف) ويعتبر كاتبنا هـذه القصة (مساهمة مهمة من جانب هيس في مشكلة اللامنتمي) ويعدهـا اقوى دراسة ظهرت حتى الان . فما جوهر هذه القصة التي يهتم بهـا ولسن كل هذا الاهتمام ويشير اليها باصابعه العشرة ؟ ان جوهرهـا يتبدى لاول وهلة وبكل يسر ، انه مجموعة من الاحلام سطرها هـاري هاللر الذي اتخذ الاسم المستعار (ستيفن وولف) وهاري هاللر هو لسان هيس المعروف .

لنستمـع الى حلم من هذه الاحلام ، حتى تكون لنـا فكرة عـن هذا الكتاب يقول ستيفن : «انبثق في اعماقي ضحك منعش ...ضحك حلق بعيدا كفقاعة صابون..ثم انفجر بهدوء.. تاركا وراءه ذيولا ذهبية وهاجة ، وتذكرت كل ما هو خالد تذكرت موتزارت ..والكواكـب . واستمر ذلك ساعة كاملة ، كنت خلالها مكتوم الانفاس ..»

وفي آخر القصة مقالة تحت عنوان « مقالة عن ستيفن وولف » وهي ولا شك من وضع هاللر نفسه وهي تعيننا على تفهم فلسفته وتدلنا في الوقت نفسه الى الطريق الموصلة الى الاله وتشرح لنا مقام الانسان في هذا الوجود وتأخذ بايدينا الى جادة الصواب ، حتى لا نظل تائهين متبعثرين في شعاب الفلسفة الملتوية ، واليكم لما وعينات من هـذه الفلسفة : «ليس الانسان ...شكلا ثابتا غير متغير.انه..تجربـة وانتقال . انه لاشيء اكثر من جسر ضيق خطر بين الطبيعة والروح . ان المصير الكامن فيه يدفعه الى الروح والى الله ، اما حنينه الكامن فيه ايضا فانه يعود بـه الـى الطبيعة ... الانسان هـو تسويـة (١٠) برجوازية » ومن ثم فالتسوية البرجوازية هي الحل الوحيد للمشكلة الفلسفية ، هي الحل الوسط بين الطبيعة والروح ، وعلى ذلك يكون هذا الحل ردا وافيا شافيا على التساؤلات العديدة الوفيرة التي لـم تبرد غلتها بعد.الا ان هذه التسوية لا تحلو له الا الىحين جد قصير، فلنصيخ اليه وهو يحدثنا عن الانسان مجددا وعن طريقه المليئة بالشقاء والنوازل والرهبة المفزعة : «اليس ذلك الانسان مخلوقا كاملا ، انما هو تحد للروح ، انه احتمال بعيد يخشى منه اكثر من كونه مرغوبـا (فيه) لان الطريق الموصلة اليه ليست ممهدة الا في جزء صغير منها .. وان ذلك الجزء الصغير الممهد هو مشنقة ممهديه اليوم وتمثال ذكراهم غدا » . ما هذا الكلام الذي نصغي اليه بانفاس مبهورة ، وكلنا اسماع وآذان صاغية ؟ انه كلام لولبي يدور بعقولنا وقلوبنـا فـي الاتجاهات كافة وفي جميع المسارب الخفية والاخاديد الملتوية والتلاع البارزة لكن

---

(١) اعتمدنا في هذه الدراسة على ترجمة الاستاذ انيس زكي حسن. (٢) ورد في النص المترجم «لا شيء يمكن تنويعه» والصواب «التثبت منه» فليراجع .(٣) ترجم الاستاذ حسن كلمة Causality بـ «عرضية» ظانا انها كلمة Casual ولذا اضطررت ان اعيد ترجمة الجملة حفاظا على معناها الدقيق ، والاستاذ معذور لهذا الالتباس . (٤) هذه الجملة من ترجمتي الخاصة. (٥) من ابطال قصة «وداع للسلاح» . (٦) استعمل الاستاذ حسن كلمتي «الانجيل» و «انوع» في غير مكانهما ، وكذلك شطب سفر الملوك الاول والاصحاح التاسع عشر ، مما اخـل بالمعنى المطلوب الامر الذي اضطرني الى ترجمته من جديد، ي.ع ثروة. (٧) من ترجمتي الخاصة ، ي.ع ثروة. (٨) هيس في كتابه «نظرة في الفوضى» . (٩) هيس في قصته «دميان» . (١٠) بالنص المترجم «اتفاق» وهو غير وارد لانه يخالف النص الانكليزي .

نغم وزهرة

بحات صوتك في عروقي اغنيات تتفجر
تنساب في اعماق احزاني
فتسكرها وتسكر ....
كلهاث ناي ذابل الآهات مجروح النغم
لملمته من صمت غابات المآسي والالم
من غابة الريح التي
كانت بما نشدوه تسخر
من شهقة ذبلت على اوتار قيثار تكسر
حطمته من أجل نظرة
من أجل زنبقة وقطرة
من أجل زهرة
أهديتنيها عندما أبصرت في عيني حسرة
هل تذكرين .....
نسيت من فرحي على شفتيك فكرة
من أجلها
حطمت قيثاري لكيلا يبقي في شفتيك سره
لا تغضبي فجميع أسراري
حزينات ومره
لا تغضبي وتذكريني
في الخيال ولو لمره
عيناك توقد في ضلوعي كلما أنساك جمرة
وجراح صوتك في عروقي
أغنيات تتفجر
تنساب في اعماق احزاني فتسكرها وتسكر
تنساب تبحث في حنايا القلب
عن نغم وزهرة
أهديتنيها عندما ابصرت في عيني حسرة
ذبلت وحزني مثلما تدرين ...لا املك أمره

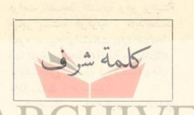
احمد سليمان جيعي

الكويت

من غير جدوى ، وبغير فحوى ومضمون . الا ان المعاني كلها تتجمع وتتظافر وتتشابك بوفرة وفيرة وكثرة غزيرة حين يجد هاللر نفسه بين احضان ماريا ، فمن له اذنان سامعتان فليسمع : « وكف قلبي عن الخفقان ..وغرقت في فيض من الغبطة والحزن..كانت حياتي قد اصبحت تعبا متصلا ، بعد ان جابت في تلك المتاهات التي ليس فيها الا الشقاء ، والتي لم تقد الا الى نبذ كل شيء ، انها قادت الى اللاشيء » ثم يستدرك قائلا لا وليكن ما يكون من امر ذلك الطريق الصغير الى الموت . لقد كان لب حياتي وجوهرها نبيلا ، وقد جاءتني هذه الحياة من مصدر علوي (لانها) اعتمدت على الكواكب. هكذا وبكل هذه البساطة والرفاهة واللطافة ، يوصل هاللر وشائجه بالمصادر العلوية والكواكب السماوية كي تكون ابواب الجنان مفتحة قدامه ، بعد ان يكون قد نال الغفران وتم التكفير عن ذنوبه القذرة التي وصفها كذلك ولسن نفسه، والتي نربأ بأنفسنا عن وصفها وللقارىء ان شاء ان يتعرف عليها تصفح الصفحة (٧١) من الطبعة الثالثة من (اللامنتمي) ومع ذلك ، فان كاتبنا ، امعانا منه في عرض المشاهد الشاذة والمناظر البشعة ، يقارن بين هيس وتوماس مان ويفضل الاول على الثاني ، وذلك لقابلية الاول على (بعث الحياة في شخوصه) بصورة حيوية وفيرة ، في حين ان الثاني يبث الحياة في شخوصه بثا ، و«ذلك لان مان يقف من شخوصه موقف المراقب ، في حين ان هيس يمثل شخصا من شخوصه دائما مخفيا ذلك ما استطاع» .ثم يضيف الكاتب الى ذلك قوله « ان هذه الحيوية التي تتميز بهاافكار هيس تجعله اقرب الىدوستويفسكي»..

وبعد ، هذه دراسة استطلاعيةستتبعها دراسات اخرى نواكب فيها جميعا كتابات كولن ولسن مبتدئين بـ (اللامنتمي) نرجو ان نطرح فيها قضايا الادب المعاصر طرحا جديدا .

بغداد يوسف عبدالمسيح ثروة



تاليف الكسي بانتيليف

ترجمة : عبدالواحد محمد



كلما عدت بالذاكرة الى تلك الحادثة تمنيت ان اعلم اين كان يسكن ذلك الولد ، ومن هو ابوه ومن هي امه . ففي غبش الغسق لم استطع ان اميز وجهه بجلاء ، والشيء الوحيد الذي اتذكره ان انفه الصغير كان مغطى بالنمش .

فقد حدث في احدى امسيات الصيف ان دخلت حديقة صغيرة — لا اذكر اسمها — في مكان ما على جزيرة فازليفسك . وبعد ان استقر بي المقام على احدى المصطبات ، استغرقتني مطالعة كتاب كنت أحمله، فما عدت اشعر بدنو المساء حتى اصبح من العسير ان اقرأ .

اغلقت الكتاب ونهضت واتجهت نحو بوابة الخروج . كانت الحديقة الان خالية . وكانت انوار الشارع مشتعلة وفي مكان ما خلف احدى التوابات سمعت طرق جرس الحارس . وخشية من ان تغلق بوابة الحديقة اسرعت الخطى . وفجأة وقفت بلا حراك . في مكان ما الى جانبي خلف الشجيرات كان هناك من يبكي . فاستدرت نحو طريق فرعي ، فاستطعت ان ارى من خلال الظلال القاتمة اللون الابيض لبيت حجري صغير وكذلك صندوق حراسة الى جانبه . وبالقرب من الصندوق وقف صبي صغير في حوالي السابعة او الثامنة من عمره وقد اخفض راسه باكيا . فاقتربت منه سائلا :

— ماذا بك يا بني ؟

وفي الحال كمن صدع لامر ، أوقف البكاء ورفع راسه ناظرا اياي .

— لا شيء .

— كيف تقول لا شيء ؟ هل اذاك شخص ما ؟

— لا . لم يؤذني احد .

— اذا علام تبكي ؟

كان عسيرا عليه ان يتكلم لانه ما زال شارقا بعبراته . فقلت له :

— تعال . تعال . الافضل ان تذهب من هنا . انظر ان الوقت متأخر . وسيغلقون الحديقة . حاولت ان امسك الولد من يده غير انه سرعان ما سحبها . قال :

— لا استطيع .

— ماذا تقصد بانك لا تستطيع ؟

— لا أستطيع الذهاب .

— كيف ذلك ؟ لماذا ؟ ماذا بك ؟

فأجاب : لا شيء .

— هل انت مريض ؟

قال : كلا . انني بصحة جيدة .

— اذن لماذا لا تستطيع الذهاب ؟

فقال بعد تردد : انا . .انا حارس .

— اي نوع من الحراس ؟ كيف ؟

— حسنا . .ماذا بك . . الا تفهم ؟ اننا نلعب .

— مع من تلعب ؟

سكت الولد هنيهة . تأوه . . ثم اجاب : لا ادري .

فقلت له : اسمع . كيف يمكن ان يكون ذلك ؟ انت تلعب ولا تدري مع من تلعب .

قال الولد : هذا صحيح . لست ادري . كنت جالسا هنا في الحديقة على احدى المصطبات عندما اقبل نحوي بعض الاولاد الكبار وقالوا لي : اتريد ان تلعب لعبة الحرب ؟ فاجبت : اجل .

فبدانا نلعب ثم قالوا لي : انت سرجنت . وان احد الاولاد الكبار وكان برتبة جنرال جاء بي الى هنا وقال : هذا مخزن الذخيرة . وانت الحارس . قف هنا في واجب الحراسة ولا تغادر الا باشارة مني . فقلت له : حسنا . ثم قال لي : اعطني كلمة شرف بانك لن تغادر المكان . فقلت له : بشرفي لن اغادر .

— ثم ماذا ؟

— وهكذا بقيت واقفا . . واقفا . . ولم يجيء منهم احد .

فقلت مبتسما : هذا هو الامر وما فيه . وهل مضى وقت طويل منذ ان تركوك هنا ؟

— كان الضياء منيرا .

— اين هم الان ؟

فتاوه الولد ثانية وقال : احسب انهم قد ذهبوا .

— هل انت واثق ؟

— لا بد انهم نسوا .

— اذا لماذا انت واقف هنا ؟

— لانني اقسمت بشرفي .

ولو ان رغبة على الضحك راودتني ، غير انني ادركت ان لا شيء يبعث على الضحك في هذا المكان وان هذا الصغير محق في قوله تماما .

ما دام الولد قد اعطى كلمة شرف فعليه ان يحرس ، سواء كان الامر لعبا او جدا . فسألته :

— ما الذي ستفعله الان ؟

بكى الولد الصغير ثانية وقال : لا ادري .

اردت ان اساعده بطريقة ما . ولكن ماذا استطيع ان افعل ؟ علي ان اذهب للبحث عن اولئك الاولاد الذين تركوه هنا ، بعد ان اخذوا منه كلمة الشرف ، بينما هم ذهبوا الى منازلهم . اين يستطيع المرء ان يبدأ البحث عن اولئك الفتيان ؟ لا بد انهم قد تناولوا العشاء ثم اندسوا في افرشتهم حالمين . بينما يقف هنا «رجل» . . وربما جوعان . . يحرس في الظلمة . فسألته : ربما انك تريد ان تأكل الان ؟

فقال : اجل اريد .

فقلت : حسنا . اصغ الي . هيا عجل بالذهاب الى بيتك وتناول عشاءك وسأقف هنا في مكانك .

قال : شيء جميل . لكن هل هذا مسموح به ؟

– ولم لا ؟

– انك لست في الجيش .

– هذا صحيح . فلن يحل وقوفي المشكلة . ليس بامكاني ان اخليك من مهمتك. لا بد لجندي مثلك ان يقوم بالمهمة .. وان ضابطا برتبة عالية يستطيع ان يأمر بذلك .

وبغتة خطرت في ذهني خاطرة . ففكرت . لكي احل الصبي من كلمة الشرف واخليه من مهمته ، يجب ان يكون هناك رجل عسكري . عند ذاك لن تكون هناك مشكلة . فما علي اذا سوى ان اعثر على عسكري . فقلت للولد الصغير : انتظر قليلا .

ومن دون ان اضيع لحظة واحدة اسرعت الخطى نحو باب الخروج . لم تغلق البوابات بعد ، فوقفت في الخارج منتظرا مرور احد افراد الجيش . لكن .. لسوء الحظ .. لم يمر اي واحد منهم لفترة طويلة . غير ان شعورا بالارتياح راودني لما

رايت على الجانب الاخر من الشارع جمعا من الرجال وقد بدوا مرتدين معاطف غامقة . فحسبت انهم بحارة ، فاسرعت نحوهم عبر الشارع . فلما اقتربت منهم اكتشفت انهم عمال وليسوا بحارة . ثم مر رجل طويل من مستخدمي سكك الحديد وعليه معطف براق اللون محلى بقطع خضر وفي هذه اللحظة ادركت ان لا فائدة من هذا الرجل ذي المعطف البراق . أوشكت ان ارجع الى الحديقة وعند ذاك لمحت عند الزاوية وفي موقف الباص قبعة ضابط بشريطها الازرق المألوف . فنكست راسي خشية الريح واندفعت نحو موقف الباص . وآنئذ اوشك ان يصل باص الى الموقف فرايت الضابط الشاب وهو برتبة ميجر يستعد للركوب . فاندفعت نحوه مسرعا وامسكت بيده صائحا : أيها الميجر ، لحظة واحدة من فضلك . فالتفت الي وحدق في دهشا وقال : ماذا وراءك ؟ فأجبت :

– حسنا .. انك ترى .. لدي مشكلة . هنا في هذه الحديقة يوجد ولد صغير يحرس واقفا . وهو لا يستطيع مبارحة المكان لانه اعطى كلمة شرف . انه صغير جدا .. وهو يبكي .

فنظر الي الضابط منزعجا . لا بد انه ظن بي الجنون . ثم سأل : حسنا .. ماذا تريد مني ؟

لقد بارح باصه الموقف فنظر الي بغضب . بيد انني لما شرحت له المسألة بالتفصيل زاد اهتماما وقال بانفعال : هيا بنا . هيا بنا . لم لم تخبرني ذلك في الحال ؟

عند اقبالنا على الحديقة ، كان الحارس على وشك ان يغلق البوابة. فرجوت منه التمهل بضع دقائق لانني تركت ولدا صغيرا في الحديقة . فدلفت انا والميجر الى داخل الحديقة .. وفي الظلام لمحنا البيت الابيض الصغير . كان الولد ما يزال واقفا في ذات البقعة التي تركته عليها . كان يبكي .. لكن بهدوء هذه المرة . ناديت عليه ، فسر لرؤيتي . قلت : هل ترى .. لقد جئتك بالضابط .

فما ان راى الضابط حتى انتصبت قامته وبدا كأنه اطول من واقعه بضعة سنتمترات . فخاطب الضابط الولد:

– ايها الرفيق الحارس ، ما هي رتبتك؟ قال الولد الصغير : سرجنت.

– ايها السرجنت ، اني آمرك بأن تترك الموقف الذي عهدت اليك حراسته .

– ما هي رتبتك ؟ فانا لا ارى كم نجمة تحمل على كتفيك ؟ قال الضابط : انا ميجر .

عندئذ رفع الولد يده بصلابة الى ذروة قبعته الرمادية محييا وقال : امرك يا ميجر .

قال الولد ذلك بكل وضوح ومهارة بحيث لم نستطع ان نمنع نفسينا من الانفجار ضاحكين . فضحك الولد بسرور ايضا . وما كدنا نغادر الحديقة حتى تصاعد صوت انغلاق البوابة . ثم اخذ الميجر بيد الصبي قائلا : انك تملك العناصر الاساسية لجندي من الدرجة الاولى . وداعا .

بعد ان حيانا نحن الاثنين اسرع الميجر الى باصه المقترب من الموقف. فسألت الصبي : ربما تريد مني ان اوصلك البيت . قال : كلا . انا اسكن عن كثب من هذا المكان . ثم اني لست خائفا .

نظرت اليه وخمنت ان لا شيء يخيف مثل هذا الصبي . ان صبيا له مثل هذه الارادة القوية والثقة الراسخة ، لن يخاف بسهولة من الظلام .. او الانذال .. او حتى من الامور المريعة . وعندما سيكبر – ومهما صار – فانا واثق انه سيكون رجلا حقا .

لقد شعرت بارتياح تام لتعرفي لهذا الصبي الصغير .

وعند توديعي اياه صافحته بقوة للمرة الثانية ... وملء قلبي فرحة طاغية .

بغداد عبدالواحد محمد



عبارات السلوك عند ابناء دير الزور

تأليف المحامي عبدالقادر عياش ـ ٤٢ صفحة ـ سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ مطبوعات مركز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور سورية ـ المطبعة السليمية بدير الزور

في حياة التأليف والكتب نجد فئة من العلماء والادباء يعملون في صمت، ويطالعون الناس بين حين وحين بآثار علمية وأدبية نفيسة ، قضوا في تصنيفها وتآليفها سنوات عديدة ، فاذا هي تسد فراغا كبيرا في عالم الفكر والادب وتسجل مراحل خطيرة من تطور الشعوب .

وفي مقدمة هؤلاء الادباء والعلماء كاتب وأديب مرموق بذل جهدا كبيرا في تسجيل عادات بلاده وتقاليدها ، وتاريخها وجغرافيتها ، وتطورها ومهنها بل وعبارات السلوك التي تدور على السنتها ، هو الاستاذ المحامي عبدالقادر عياش .

لقد نشر الاستاذ عياش حتى اليوم مؤلفات قد تربو على الخمسين عددا ، يدور جلها حول الجزيرة والفرات ودير الزور ، وكل ما يتعلق بما يسمى ، في العصر الحديث «الفولكلور» او طراز حياة الشعوب ، وتتبع العالم المتمكن والمحقق البارع جوانب لا حصر لها في حياة وطنه ، وسجل هذه الجوانب ، بل لقد قام باكثر من ذلك وطبع كل تآليفه ، ونشرها بين الناس ، واهداها الى عدد كبير من الدوائر والمؤسسات والمعاهد ورجال الادب ، ولم يبتغ من وراء ذلك كله ربحا ، ولم يحقق مكسبا ماديا ، بل اندفع في سبيل فكرته وفنه ينفق عليهما من ماله ، لا يريد جزاء ولا شكورا .

ولقد حاولت مرارا ان اكتب شيئا يتعلق بهذا الاديب الكبير والعالم المحقق ، كلما ظهر له كتاب يجمع الدقة والبحث والتنقيب ، وكانت المحاولة الاخيرة هذه بمناسبة ظهور كتاب له جديد «هو عبارات السلوك عند ابناء دير الزور »).

ليس من شك ان التطور الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في كل بلد من بلاد العالم يفرض على الناس فرضا تبدلا عميقا في السلوك وعباراته ، فقد كاد الانسان في بلدنا مثلا لا يكاد يقوم ويقعد ويسعل ويعطس ويستحم وياكل ، ويدخل ويخرج ، ويحلق. لا يكاد يقوم بعمل من الاعمال صغير ولا كبير الا سمع عبارة مناسبة تقال له ووجب عليه ان يردها بمثلها ، او كان من الواجب عليه ان يقول كلمة مناسبة وعبارة مقررة ينتظر جوابها من الناس .

ولكن التطور في مختلف جوانبه ، في مجتمعنا الحاضر ، الذي يتصف بالسرعة في كل شيء ، بدأ يفرض على بلادنا وعلينا اختصار كثير من الكلام واقتضاب الوان من العبارات ، بل ربما فرض علينا التخلي عن كثير من آداب السلوك وعبارات التهنئة والتعزية ورصد حركات الناس في كل قيام وقعود ، وفي كل منقلب يتقلبون اليه لنقول لهم كلمة مناسبة او تسمع منهم كلمة مناسبة .

ومن هنا تجيء القيمة التاريخية الكبرى لكتب الاستاذ عياش الذي يسجل الفترة التاريخية التي تجتازها بلادنا ، بكل ما فيها من حياة الشعب وتقاليده وطقوسه ، هذه الفترة التي نفقد فيها كثيرا ، ونقتبس فيها كثيرا ، والتي تتبدل فيها مفاهيمنا وسلوكنا وحياتنا تبدلا جذريا عميقا .

ولعل السلوك الانساني ان يشبه طراز اللباس يتبدل كما يتبدل ويختلف كما يختلف، وان كنا نجده اكثر بطئا واقل تغيرا ، ونحن الذين شهدنا فترة من الدهر كان الناس يلقون فيها التحية على الناس سواء أعرفوهم أم لم يعرفوهم ، ويرون في ذلك واجبا دينيا مقدسا وادبا اجتماعيا محتوما ، نشهد اليوم فترة من الدهر على قرب ما بين الفترتين من وقت، لا يسلم فيها الجار على جاره،وان التقيا علىسلم واحدةفي بناء واحد.

والميزة الاولى التي يتمتع بها كتاب الاستاذ عياش «عبارات السلوك عند ابناء دير الزور» هي رصد تلك الفترة وتسجيلها .

وقد قدم المؤلف لكتابه بكلمة عن نشأة عبارات السلوك بينالناس، ثم بين العرب ، وما كانت تدور على السنتهم من تحيات وعن تأثير المجالس الادبية في ظهور كثير من عبارات السلوك .

وانتقل بعد ذلك الى ذكر الحوافز التي دفعته الى الاهتمام بالعبارات السلوكية عند ابناء دير الزور فلاحظ كثرة ورودها فيالكلام. ثم ذكر في تواضع العالم قوله : « ولا ازعم اني احصيتها ، وانما اثبت جملة غير قليلة منها» ،كما لاحظ دلالة هذه العبارات من الناحية الوجدانية والعقائدية والاجتماعية وأنها جزء من لغة الشعب كالامثال ، بل ان كثيرا منها امثال حقيقية ، وانها ناحية فولكلورية اغفلها العرب. ثم يذكر في دقة المحقق ان هذه العبارات « اذا كانت لا تزال موجودة بهذه الكثرة ، فلان عقلية الشعب لم تترق ترقيا يذكر منذ قرون . على انه يلاحظ انها عند المتعلمين اقل مما هي عند الاميين ، وعند النساء اكثر من عند الرجال .»

ويورد المؤلف بعد ذلك ١٨٩ عبارة من عبارات السلوك تستعمل في دير الزور من اطرفها :

ـ عندما يأتون على رقم (٦) في العد يقولون بدلها ستار الله ، وبدل السبعة سبحة ، وبدل التسعة : تسعد يا من تصلي على النبي .

ـ يعقبون على شخص يذكر امرا مضى عليه زمن طويل بقولهم : يوم الكانت امي صبية .

ـ يقولون لمن ياكل مع جماعة ويكبر لقمته : كأنه ياكل مع عميان .

ـ يقولون لمن ياكل كثيرا : نبت العشب جواك .

ـ تدعو امراة الى بيتها بقولها : فوتي . تجاوب الثانية بقولها : فات عندكم الرحمن .

ـ يقولون للشخص الذي يتكلم في مجلس ويحيد عن الحق : « اقعد عوج واحكي عدل» أي اقعد كما تريد ، ولكن تكلم بالحق .

ـ توقظ الام الديرية ابنها النائم المتأخر في نومه رغم طلوع النهار قائلة : اقعد .. لو نفع النوم نفع اهل القبور .

ويورد المؤلف بعض الامثال التي اصبحت جزءا من عبارات السلوك، كما يرى ان للشعر العامي في الفرات دورا في التخاطب بين الناس ، وان كثيرا من ابياته عبارات سلوكية يستعان بها في التعبير ، وتأتي مستقلة كافية تفي بغرض منشدها .

وهكذا ينتقل القارىء مع مؤلف الكتاب في رحلة في دير الزور والفرات والبادية ، يسمع فيها الناس كيف يتخاطبون ويراهم كيف يسلكون، كل ذلك في حرص العالم المدقق،وخبرة المجرب ،وذوقالاديب.

لقد كان وما يزال من واجبنا ان نقوم بتكريم الاستاذ عياش على ما يبذله من جهد في بحث لم ينصرف اليه احد ، ولم يتفرغ لرصده متفرغ ، ولعل هذه الكلمة تكون قسطا صغيرا من حق له علينا كبير.

دمشق — عبدالمعين الملوحي

ليالي الرقمتين

مجموعة شعرية ـ امين نخلة ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت ـ مطبعة المطبعة في جونية لبنان

شرعت في قراءة هذا الديوان الجديد ، لشاعر العرب الكبير أمين نخلة «ليالي الرقمتين» ، بشوق الى الديباجة الشعرية (الامينية) ، وشوق ايضا الى موضوعات الغزل ، والوصف عند الشاعر الكبير .. وسرعان ما وجدتني مشدودا الى الديوان بألف سبب ، وسبب ، تارة أشغف بقافية ، وتارة اكلف بمعنى ، وطورا آخر اهيم بخيال ..

ولست أخفي اني كنت كل مرة اشفق للشعر العربي الحديث ، وعليه ايضا من (اساليب) النمط الحر ، والمرسل ، والانفلاتي ، كما يقولون اليوم ، والتي تسربت الى كيانه حديثا ، وكنت ، في كل مرة ، ايضا ، أذكر ما يردده (الشعراء) الشباب المحدثون ، والمجددون ، شعراء (النمط) الحر ، والمرسل ، والانفلاتي ، كما هم يقولون في شعرهم ، من انهم قادرون على (النظم) ، على الطريقة السلفية ، العمودية من الشعر ، الى جانب طرقهم اساليب نمطهم الحر ، والمرسل ، والانفلاتي ، كما يقولون ..

وحقا .. ماذا يعني هذا الكلام الذي نسمعه اليوم ، عليهم ، في كل مجلس شعري تقريبا ، في العراق ، ومصر ، وسورية ، غير (الاعتراف) بصلاح الشعر العربي العمودي ، الخليلي ابدا للحياة .. وانه ، بالاحرى ، يحتاج منهم الى مزيد من (العناية) ، والاهتمام يطيعون له ما يطرقون من موضوعات يدعون انها جديدة ، او انها تلائم النمط الحر ، المرسل ، والانفلاتي ، الحديث دون سواه !.

لقد زاحمتني هذه (الخواطر) النقدية ، في حال الشعر العربي اليوم من التجديد ، والتطوير ، وانا أخط هذه الصفحات عن هذا الديوان الجديد : ـ ليالي الرقمتين ـ ، للشاعر الكبير أمين نخلة .. فان ها هنا شعرا سلفيا ، عموديا ، يسحر القلوب بأسلوبه ، ويأسر الالباب بمعانيه ، وأخيلته ، ومع ذلك ، لا قصيدة واحدة فيه تنتمي الى (نمط) حر ،او مرسل ،او انفلاتي ، كما يقول الشعراء الشباب ،الجدد.

وحقا ، اذا كان شعراؤنا الشباب يفخرون بأنهم قادرون على (النظم) ، على الطريقة السلفية ، وعلى بحور الخليل ، ـ وكم هم يفعلون ذلك ، ودون طائل ، في كثير من الاحيان !. فما احراهم ان يدرسوا اسرار البلاغة ، والجمال ، في (شعر) سلفي ، عمودي ،جميل، خالد، مثل شعر امين نخلة ، هو البقية المثلى من تجارب الشعر العربي ، الصحيح ، الاصيلة ..

استمع الى شاعرنا الكبير امين نخلة ، يقول في قصيدة «الشمس في لبنان» :

لك عرش الافق ، يا شمس ، وكم ... رفرف للعز فيه ، والخطر !
بسطت من تحتك الدنيا ربى ... وهضابا ، بين طو ، وقصر ..
بالذي أعلاك : هل من منزل ... زاهر ، زاه ، كلبنان الخضر ؟
أنت في السفح ، وفي الدوح به ، ... وعلى القاع ، وفي شط النهر ..
فاطلعي في جانبيه رحمة ، ... واسكبي الدفء ، وصبي في الثمر،
واجعلي ايامك الغر به ، ... موسم الحسن ، واعياد البصر !..

تجد (الحس) الانساني يواكب (الحس) الجمالي ، ابتداء من مرتكز واقعي ، مشبوب ، هو لبنان ..

واستمع اليه يقول في قصيدة «الارز..» :

يا نسيم «الارز» من نفح ، ومن ... بلل يسري ، وريا تسطع !
طف بأرض الله سهلا ، وربى ... ولتعانقك الجهات الاربع ..
كن مشاع الخير للناس ، وما ... نحن مما في يدينا نمنع ،
كل دان ، وبعيد ، عندنا : ... في اخوات البرايا شرع !..

تسحرك هذه (الانسانية) الصادقة ، والصميمية ، المحبة للناس ، وللخير ..

ولا شك ان حصر الموضوعات في الديوان ، وتوزيع القصائد عليها مفيد ، ومع ذلك نكتفي من ذلك بأن نشير ان الديوان ضم اجود الشعر الغزلي ، والوصفي الحديث ، والذي يظل جيل امين نخلة يتشوقه ، ويحبه ، ويؤثره ، ومن ذلك هذه الابيات الناضجة ، الآسرة ، التي تحمل الى القارىء نفحات علوية من الحب ، وتباريحه ، وهي « قبل الفراق » :

ادن مني ، فانني مزمع البعد ... الى حيث لا تدق القلوب ،
لي عشرون صاحبا حافظي الود ... كراما ، لكن انت الحبيب ! ..
فاذا اقبل الربيع ، ووافى الورد ... بعدي ، واسترسل العندليب ،
وغدت بيننا المنازل ، والاحياء ، ... والسهل ، والربى ، والدروب ،
فابكني في ملاعب الفصن واذكرني ... ، وعطف علي ، اني غريب ..
أنا ذبح الفراق،بل مشهد الهجر.. ... وخدي ند ، وجرحي رطيب ،
أنا كأسي في الارض مصبوبة الخمر ... ، وساقي مطرق لا يجيب .
وبوادي الصبا عريت من البرد ... وعهدي ان الشباب قشيب ..

ومنها قصيدته الفريدة ، في وصف «الشتاء» :

شيخ الرياح الهوج ، والانواء ... أولى الفصول بمدحة غراء ..

وهي مليئة بالترسم الواقعي ، والتخييل الحسي ، والمعنوي .. وان ما جاء فيها من وصف (الثلج) ، يعتبر من فرائد الشعر العزيز المثيل اليوم ، في الادب العربي الحديث ، بل الادب العربي قاطبة :

قطع من اللون البهيج كأنها ... كتب يجود بها حبيب نائي
تلك الرقاع لو استطمن تماسكا ... لخلدن بين رسائل البلغاء .
او كان جزء من روايات الهوى ... قد ضاع ، كن بقية الاجزاء !.
في الغاب،أو خلف الوهاد،وفي الربى ... والسهل ، القى الثلج خير غطاء ،
ملك على الالوان ، غير منازع ... هذا البياض ، وسيد الاضواء !.
يا لطف حس الثلج عند نزوله ... فانظر لرف الجفن في الاغفاء ،
واسمع بطن الاذن أيسر خافت ... مما توهم شدة الاصغاء !!

والامثلة عديدة في الديوان على هذه الفرائد ، الجزلة السبك ، الحلوة الجرس ، الحديثة المعاني ، والاخيلة ، والتشبيهات ..

اقرأ مثلا «المشط» وهي تشبيب بمشط غانية ، و «ليلة الكويت»، وهي من اجود الخمريات الحديثة ، ومجالس الانس ، والطرب ، و «زهرة الخريف» ، وهي في التقابل الجدلي ، والوجودي ، و «يوم القيامة» ، وهي في تخيل تفنيدي ، وادبي عن الحشر .. وغيرها .. وغيرها .. مما يعيد الى القلوب ، حقا ، ثقتها بالشعر العربي الحديث، ومستقبله ، والى اللقاء في ديوان مقبل .

دمشق

عدنان بن ذريل

•

هكذا تكلم بوذا ..

تاليف زهير طحان ـ ١١٥ صفحة ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ المطبعة (؟)

زهير طحان كاتب سوري معروف ، له مقالات عديدة ودراسات فلسفية متنوعة واقاصيص حلوة طلية ذات مغزى عميق ، وهو من الصفوة الممتازة التي تكتب في مجلة «الضاد» الحلبية.ويعد في طليعة الادباء الذين يعالجون مشكلات الشباب وآفات العصر . وقد نهل من الثقافات الاوروبية والعربية ما جعل اسلوبه يمتاز بموضوعية العالم وحكمة الفيلسوف وذاتية الاديب .

وكتابه «هكذا تكلم بوذا» هو كما وصفه على الغلاف «عرض لمشكلة

الضياع الفكري نتيجة فقدان الحقيقة المطلقة» ولكنه عرض اسطوري رمزي فيه اشارات واضحة الى نظريات علمية وآراء فلسفية اتسمت كلها بقالب شعري مطرب. والجدير بالذكر ان بوذا في كتابه ما هو الا رمز الى الكاتب نفسه ، او الانسان الواعي المتبصر الذي يعاني مشكلة الضياع الفكري لا كما قد يتخيل القارىء لاول وهلة ان الكتاب تسجيل لآراء حكيم الهند . ويبدو ان «زهير طحان» اقتدى بالكاتب الالماني الثائر «فريدريك نيتشه» الذي تحدث على لسان «زراداشت» في كتابه «هكذا تكلم زراداشت» عارضا آراءه لا آراء زراداشت .

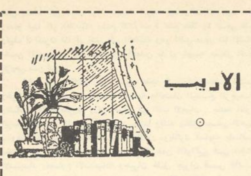
يبدأ الاستاذ زهير طحان كتابه بوصف للطبيعة في تقلبها وتجددها وقد ارتدت ثوب الربيع الخلاب حتى لكانك تسمع من ابتسامة ازهارها وتفريد طيورها ورقة هوائها سمفونية رائعة تعبر عن تجدد الحياة وعما تكنه ذاتها من طاقة وقدرة وجمال وابداع.ويحاول تحليل نفسيتها وكانها انسان ثم يقول : «هذه الطبيعة التي تحارب نفسها بنفسها وتتصارع بين اشلائها واعضائها وما تبغي من ذلك فائدة ولا تهدف لشيء فكان من عشوائيتها ان خلقت دودة فأصبحت الدودة هرة فاستحالت الهرة انسانا» وفي ذلك اشارة لا نستطيع ان نتجاهلها الى نظرية داروين في التطور ، ويلاحظ القارىء ان الوصف والخواطر التي تحيط به ما هي الا انعكاسات لما في نفس بوذا في كتاب زهير طحان.وبعد وصف رمزي جميل يقول : «هكذا كان بوذا يتأمل الربيع بعد ان قضى ليالي الشتاء مراقبا جسد الطبيعة العاري قبل ان تتزين وتتشح بالتفاؤل» .ويأخذ الاستاذ زهير طحان في كشف الصراع النفسي الذي يعانيه بوذا بتساؤلات حائرة وخواطر ثورية يرددها على لسان بوذا ثم لا يلبث ان يوقظ بوذاه من حلمه فجأة ليشعره انه في واد مظلم تسوده الحلكة (أي الحياة) وليجعله ينطلق ناشدا اعالي الجبال وذرا الشماريخ (وهي ترمز الى الفلسفة والعلم) لتلفحه الشمس (وهي رمز الحقيقة) بنورها الساطع الوهاج فيفشل في تحقيق غايته .ومن هنا بداية المشكلة التي يصورها الكاتب «زهير طحان» في «هكذا تكلم بوذا» وقد هيأ الجانب الاول من المشكلة. ولعل الطحان كان يجد في بطله الاسطوري رجلا بعيد الشك حتى رمز الى شكه بالشيخ وجعل بوذا يشعر بالجوع والعطش ليطرق باب الكوخ الذي لمح ضوءه وهو يسير مجتازا احدى الغابات فيلتقي الشيخ وتنعقد بينهما اواصر الصداقة. كما اراد الاديب السوري زهير طحان ان يجعل شك بوذا قائما على العلم والحكمة لا الفوضى والاستهتار اذ وصف الشيخ في (صفحة ١١) بقوله : « كانت سيماء الوقار والرزانةوالحكمة متجلية فيه ».

ويسير بوذا في رحلة للبحث عن الحقيقة يرافقه شكه وفيها يبرع زهير طحان في بسط المشكلة وتصويرها عارضا الكثير من آرائه الثورية التي تنادي بتحطيم اصنام الغش والرياء والزيف وتمزيق الباطل الذي يكبل حرية الانسان الفكرية ويحيل بينه وبين التقدم والتطور ويقف حاجزا دون الحقيقة .

وللحرية في كتاب زهير طحان مفهوم يخالف ما جاء به الفلاسفة ، فالحرية لا تكون كما يرى الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر وانما السبيل اليها بمعرفة الحقيقة وادراك قوانين الطبيعة والحياة .. والانسان كلما ازداد معرفة وادراكا لحقائق الوجود كلما حرر نفسه اكثر . وقد تناول المؤلف فكرة تشبه فكرة العود الابدي لنيتشه ، غير ان «نيتشه» جعل هدف الانسان الحالي هو الانسان الاعلى «السوبرمان» اما زهير طحان فيجد ان هدف الانسان هو الله (صفحة ١٠٥) .

ويفلسف الوجود بديالكتية جديدة ليست هيغيلية ولا ماركسية ويمكن للقارىء ان يلمس ذلك في الصفحة (١٠٥ ـ ١٠٦) من الكتاب اذ لا اود ان اسهب في الحديث عن الكتاب لاترك للقارىء متعة الاستكشاف ولذة استنباط الافكار .

ولكن مآخذه على الكاتب في «هكذا تكلم بوذا» هو تسخير براعته وعبقريته لابراز المشكلة لا لحلها او معالجتها.وتلك الكلمات الاخيرة



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

التي رددها على لسان بوذا بصيغة خبرية حينا وانشائية حينا آخر ويدعو فيها الى اللامبالاة وعدم الاكتراث لا تقنع عقلا ولا تشفي غليلا وكيف لا نكترث اذا لم نعثر على الحقيقة وهو الذي صور لنا المشكلة احسن التصوير والهب فينا من الحماس ما لم يلهبه جلال الدين الرومي من قبل ؟

اما اسلوب الكتاب فهو اسلوب عذب طلي فيه سحر الشرق وخياله . وفيه اصداء الكتب المقدسة والحان البديع الرخيمة ، وتشابيهه عادية معروفة ورمزه موفق في اغلب الاحيان . يعتمد التوازن الموسيقي ويهوى السجع فيأتي به سلسا ولكنه يتكلفه بعض الاحيان ـ وهذا نادر ـ فلا تكاد تستسيغه الاذن .ويذكرك اسلوبه باساليب مختلفة في ادبنا العربي كأسلوب عبدالرحمن الكواكبي في «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» وجبران خليل جبران في «النبي» وميخائيل نعيمة في «مرداد» وغيرهم كثير . والسهولة من اهم خصائص اسلوبه فلا تقع عينك في كتابه على كلمة غريبة او معنى مبهم او تعقيد مخل .

وبعد فان «هكذا تكلم بوذا» كتاب فيه لذة للعقل ومتعة للشعور ضم الكثير من الآراء الحرة التي لا يتسع المجال لعرضها لا دراستها وشرحها وتقريظها . واغلب ظني ان من اتيح له ان يقرأ هذا الكتاب الممتع سيجد لي العذر في عدم توفيته حقه من الدراسة والنقد .

طرابلس — احمد عبدالله الشهابي

•

عشرة ادباء يتحدثون

أحاديث ادبية ـ تاليف فؤاد دوارة ـ ٢٩٤ صفحة ـ سلسلة كتاب الهلال ـ مطابع دار الهلال بالقاهرة

من الظواهر الجديرة بالالتفات حقا في حياتنا عامة وحقلنا الثقافي خاصة، ما تحتاجه الكتابة النقدية الحقيقية التي يقوم بها قلة نادرة من النقاد الاصلاء ، من استبسال وتضحية تعد بلا مبالغة عملية فدائية شجاعة يستشعرها المتلقي قبل الناقد نفسه ! لماذا ؟! لاننا لا زلنا نعيش في مناخ يبغض النقد الذي يعني لديه تجريحا وكشف فضائح .فنحن في قرارة الانفس سواء أكنا عواما او مثقفين ، نرفض الحقيقة والنظر الموضوعي .نتشبث بهذا المفهوم الخاطىء للنقد لانه يحمي مباذلنا واستبدادنا وبهلوانيتنا .من هنا يعيش الناقد الاصيل في اجواء غير صحية تستخف بوجوده ووظيفته معا . وكان لهذا زيادة على صعوبة استكمال الناقد لادواته ، أثره الكبير في قلة ظهور النقاد الجدد في كل جيل ، مما اوحى بعدم تعاقب سلسلة نقادنا كما يحدث في الوان اخرى من الفن والادب.ومن هذه القلة من نقادنا الشبان يجيء فؤاد دوارة ، ومن الانتاج الحديث لناقدنا الشاب ، احاديثه الادبية مع عدد من كتابنا هم : طه حسين ، توفيق الحكيم ، محمود تيمور ، حسين فوزي ، يحي حقي ، محمد فريد ابو حديد ، عزيز اباظة ، محمد مندور ، فتحي رضوان ، نجيب محفوظ ، التي ضمنها كتابه الممتاز «عشرة ادباء يتحدثون» .

و «عشرة ادباء يتحدثون» يحاول ان يحطم ابواب العالم المغلق الذي يعيش فيه كتابنا ويختفون خلفه بحيواتهم الخاصة . ان الاديب وحياته كل لا يتجزأ ينعكس احدهما على الآخر .. انهما متكاملان والجهل باحدهما افساد للجانب الثاني ، ومن هنا تجيء هذه الهوة من عدم التعارف الحقيقي بين الفنان والمتلقي .ان الاديب المصري لم يقتحم ادب الاعترافات بله الحديث عن جوانب عادية لا ترتقي الى درجة الاسرار في حياته ! وقد لون هذا الموقف الذي اتخذه كتابنا فهم وتفسير وتقييم انتاجهم نفسه ، فالاعتماد على النص وحده لا يكفي للوصول الى اعماقه وبلورة مضمونه وما استهدفه مؤلفه . وما وراء النص هو الذي يبلغ بنا شواطىء النجاة هذه بأمان كبير ..

ولعل بعض قصور نقدنا المعاصر يرجع الى اهمال نقادنا لما وراء النص ، وبذلك الفوا بعدا آخر له اهميته القصوى في التعاطف مع العمل الفني. وقد اختار فؤاد دوارة الحديث الادبي شكلا للقاءاته الكثيرة مع الادباء الكبار ، ليستوعب كل الجوانب التي بها تكتمل صورة الفنان من الداخل والخارج..والمنهج الذي اختاره مؤلفنا لاحاديثه غير السريعة ، هو عرض وجهة نظر الاديب او المفكر بأمانة كاملة حتى لو لم يكن يقرها .

والسمة الاولى التي تميز احاديث فؤاد دوارة ، اعتمادها على ارضية ثابتة قوية تقف عليها من دراسة انتاج المتحدث اليه دراسة دسمة تريد ان تستوعب اقطاره جميعا . فعلامات الاستفهام التي يشكلها ناقدنا الشاب ، لا تنبع من الهامش ، اعني من ظلال التقليديات والاسئلة الاكليشيهية التي لا تقدم شيئا لكثرة ما استهلكت ولعلة مضمونها في الوقت نفسه بل من داخل أعمال ومواقف الاديب او المفكر . ولا تقف مستوى علامات الاستفهام هذه عند هذا الحد ، بل يجعلها دوارة تجاوز دائرة الفردية او الشخصية التي ينبثق منها ما يقلق دارسنا ذاته في الثقافة والفن والفكر والادب ، الى ان تمثل رأيا ثقافيا عاما يرنو الى تقريب المسافات بينه وبين اصحاب الاقلام ، والغاء الاسوار التي تمنع اللقاء التام بين الجانبين .

والسمة الثانية لكتاب «عشرة ادباء يتحدثون» هي ان صاحبه لم يتقيد في اسئلته بلون واحد يكرره مع كل شخصية ، بل اختلفت زواياه .ومن هنا لم تصب علامات الاستفهام بجمود يقيد حركاتها ويقف بها عند حدود معينة لا تعدوها ، فانطلقت الاحاديث محاولة ان تقتنص كل ملمح يضيف شيئا الى خطوط الصورة . ولا يفوتنا في هذا المجال الاشارة الى مظهر آخر من مظاهر عدم التقيد بأسئلة لا تتغير ، وهو تطرق الحديث الى موضوعات اخرى لم تكن في حسبان دوارة ان يعدها قبل ان يلتقي بالشخصية التي يسائلها ، كما حدث بالنسبة الى توفيق الحكيم بالذات .

وعلامات الاستفهام التي يثيرها فؤاد دوارة ليست تساؤلات مجردة او شبه مجردة ، بل تفطن الى عنصر المعاصرة ومتابعة الاحداث العامة المختلفة .وهذه هي السمة الثالثة لاحاديثه ، والتي تجعل هذه الاحاديث تنبض بالحياة وتجسد الشخصية الادبية مبلورة فيها سماتها البشرية من ضعف وقوة ، مدمجة اياها في زحام الناس وعواطفهم ومشاكلهم وقضاياهم . وهكذا ذابت انطوائية هؤلاء الادباء العامة ، ونعني بعد حيواتهم عن عقل وقلب المتلقي .فلا يتمثلهم آلهة او انصاف آلهة ، يكتبون للناس وعن الناس ولا يعيشون دنياهم . وبهذا الاسلوب ايضا استطاع كاتبنا ان يجعل الحديث عن موضوعات تبدو تقليدية او مجردة مثل الحب ، اشياء متصلة بالتكوين الحقيقي للشخصية الادبية او الفكرية بحيث لا يجد القارىء تطفلا او اقحاما او ثرثرة في متاهات بيزنطية.

وبجانب الملامح السابقة التي ابعدت بين احاديث دوارة وبين اتسامها بما يظلل اسلوب السؤال والجواب التقليدي من جفاف وجمود وسطحية ، فقد اضفى مؤلفنا من ناحية ثانية عنصر تعاطف المتسائل الذي يضع علامة الاستفهام متعايشا مع الاديب وفنه ، فهو ليس منقطع الصلة بشخصية الكاتب الذي يسمع له ويجيب . نعم ان دوارة ينهج نهجا موضوعيا في اسئلته ،ولكن هذا لا يناقض اعلان حبه واحاسيسه الدافئة لمن يتحدث اليه ، وقد برزت هذه السمة في معظم الاحاديث وخاصة مع الاستاذ يحيى حقي .

ورغم التوفيق الكبير الذي اصاب فؤاد دوارة في «عشرة ادباء

يتحدثون» ، الا ان نجاحه كان يعظم لو لم يغفل التمهد لاحاديثه ، يقدم به شخصياته الكبيرة . وتأتي فائدة هذا التمهيد من ناحيتين : الاولى استكمال معالم النقص في علامات الاستفهام التي يلقيها مؤلفنا سواء في عدم التفاته اليها او التي تنجم عن تجاهل او رفض الشخصية الاجابة عليها . والناحية الثانية الاشارة الى أعمال الاديب واختلاف الوانها . ولا شك ان استكمال هذين الجانبين ، يعمل عند المتلقي الذي طالع هذه الاعمال ، على استحضارها ثانية فتكون خلفية للحديث الادبي . كما يعطي القارىء الذي لم يكتشف عالمها ، فكرة عن اصالة هذا الاديب او المفكر وعظمته الحقيقية ، مشجعة اياه على الاهتمام به . ولعل مرجع اغفال دوارة هذا الى وقوعه في خطأ شبيه بمن يكتفون بالنص وحده – الذي جاء كتابه بعكس هذا المنهج ! – فهما للكاتب الفنان . فمؤلفنا يكتفي غالبا بعلامات استفهامه لا يتعداها الا في مواضع قليلة كما فعل مع الدكتور حسين فوزي ، وهو يعرض في تقديمه لمؤلفاته التي كتبها عن رحلاته .

ومن الهنات القليلة ايضا في كتاب دوارة ، قصور الاحاديث في قليل من الاحيان عن استيعاب الصورة الكاملة للاديب او الفنان ، كما حدث بالنسبة الى طه حسين ، فحديث عميد الادب العربي لم يقدم اشياء كثيرة يمكن القول انها تستطيع ان تجسد ملامحه العملاقة جيدا.

المنصورة – ج٠ع٠م **علاءالدين وحيد**

•

اللقـــــاء

مجموعة قصصية – تاليف عبدالمقصود حبيب – ١٤٤ صفحة – حجم كبير – منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة – (المطبعة ؟)

قصاص عرفته صحافتنا اليومية كاتبا ومعلقا ومعقبا .. وعرفته المجلات الاسبوعية في القاهرة وبعض البلاد الشرقية اديبا قصصيا ورددت اسمه الاذاعة في اكثر من برنامج الفه لها .

ونشرت له مجموعات قصصية آخرها مجموعة «اللقاء» .. ذلك القصاص هو الاديب عبدالمقصود حبيب. وقد كنت احاول جاهدا ان انسى او أتناسى صداقتي للمؤلف حين عرضي لهذه المجموعة حتى لا يؤثر على تقييمي لها صدق صداقتي للمؤلف وقوة شخصيته ولباقة منطقه ، لذا حاولت جاهدا ان اقف وراء كل كلمة او عبارة لعلي اجد فيها ما لا يوائم ما تعارف عليه اهل النقد ، او لعلي اجد متلمسا لاعتراض في بناء قصة او حبكتها او حوارها او هدفها .

وقد وجدت ان المؤلف لم يلتزم بالخط اللغوي ولا العامي في اسلوبه بل زاوج بينهما ، وخلط ، ويبدو ذلك مثلا في ص ٦٦ في عبارة « ما دمت تعشيت نم كي تصحو مبكرا للمدرسة» .

وما كان اهون على المؤلف لو عالج التعبير الثاني بعبارات عامية مألوفة او عالج التعبير الاول بعبارات عربية تتساوق مع الثانية . وما اكثر الكلمات العربية الناعمة المطواعة التي تؤدي المعنى العادي العامي بل وتزيد عليه بقوة البناء ومتانة التركيب وكثرة الاداء .

كذلك بدا لي – في وضوح وبروز – خط واحد ربط بين قصص المجموعة كلها تكاد تحسه وتشعر به .. هو خيط الحزن والبؤس واليأس الذي ينشر ثوبه الاسود القاتم اما بعبارات او بشرائح وقطاعات ... ولعل ذلك الخط التشاؤمي الحزين هو الذي دفع بالفنان راسم غلاف المجموعة الى ان يختار القبور والظلام لوحة لغلاف «اللقاء» .

ما زلت اسائل نفسي لماذا تظهر تلك النزعة التشاؤمية بهذه الصورة في مجموعة قصصي شاب كله طموح وأمل وعزم وعمل .

بهذه المناسبة اقول ان كل مجموعة قصصية لا بد ان تتناول عدة الوان من القصص : النفسي والاجتماعي والفكاهي والوطني والانساني والعقائدي ، ولا بد – ما دامت سميت باسم مجموعة – لا بد ان تجمع قصصها كل هاتيك المناحي وان يمس مؤلفها كل هذه الالوان .

وفي «اللقاء» ثلاث عشرة قصة اولها « اللقاء » وهي قصة هادفة عرضت في براعة ودقة ثوبا من أثوابنا الحزينة القديمة التي غطت على القيم واهدرت الموازين ووأدت الكفايات ، وفي القصة خوالج نفسية وقطاعات واقعية وعبارات مستحدثة كتلك العبارة «لم يملأ كل ذلك بئر رضاي» وقد سجل المؤلف هدف هذه القصة في ص ١٩ عندما قال «وكل بناء بلا اساس لا يدوم».

«الذكرى» ولا بد للقاء من ذكرى.. لذا كانت القصة الثانية في هذه المجموعة بعنوان «الذكرى» وما اروع ما تحفل به الذكرى من حكم كتلك الحكمة «وعشرة السنين الطويلة تعطيني حق السؤال وتفرض عليك واجب الاجابة» ساقها المؤلف في حوار بين صديقين . والخط النفسي في «الذكرى» يسير في منهج تحليلي ويكشف عن مشاعر وأحاسيس وعلاقات انسانية عرضها عبدالمقصود بصدق وعمق .

ويبدو طابع المبالغة والتهويل في قصة «اهون سبب» فجمود الموظف وبكاؤه وعدم لقائه برئيسه على الرغم من مرور سنوات وسنوات على التحاقه بوظيفته فقد كان هذا من العوامل التي انحدرت بالقصة الى اتجاه فيه قسوة «قسوة على الواقع وقسوة على شخصية محمود التي حملها المؤلف كثيرا من الالم الممض والشعور بالاسى .. ثم جعل نهاية القصة كقصة افلامنا السينمائية نهاية سعيدة .. فرح وصبيان وبنات .

وقد كانت «رحلة عودة» لمسة صادقة لشريحة من شرائح مجتمعنا تتكرر كل صباح.. هي تجربة يعيشها كل من قدر عليه ان يركب الاوتوبيس في الصباح...ولندخل الى «دنيا جديدة» وقد كانت دنيا

عبدالمقصود الجديدة حوارا بين جيلين وعقليتين وعرضا لاتجاهين متغايرين ..رمز للجيل الاول بشخصية الحماة ورمز للجيل الواعي الحاضر بشخصية عبدالحميد. لكل منهم نظرة وفلسفة واتجاه القديم بجموده وتقاليده ، والحديث بتطوره وتفاعله ، القديم برواسبه ونظراته تلك النظرات التي قال عنها المؤلف «انها نظرة جاهلة فردية لا تدري من الحياة الا طعاما دسما وحشوا للبطون مهما كان الثمن حتى ولو كان في غير مقدور الانسان» .

ثم هناك في هذه القصة مواقف حشورة متكلفة وكانها مفصلة تفصيلا متعمدا لتكون على قد معين من شعارات رددها المؤلف في هذه القصة ، ونظريات علمية دسها في بعض المواقف فبدت هذه المواقف بعيدة عن الاحساس الصادق التلقائي وعن الطبيعة ومالت فيها نحو «الصنعة» والتكلف فحديثه عن الاستهلاك والتموين والدخل الفرد والادخار وشرح الزوج للزوجة في هذه القصة تلك المناحي الاقتصادية واثرها في الاسرة والمجتمع والدولة ..كل هذا اجهد القارىء ، ووزع انتباهه وأطال القصة في غير ما موجب وجعلها قصة علمية اقتصادية استهلاكية تعاونية.

ترقية زوجتي : ان وضع هذا العنوان وقراءته في صدر القصة اوحى بمضمون القصة قبل قراءتها فكشف المؤلف اوراقه من اول كلمة واضاع الحبكة والتشويق الذي ياخذ بتلابيب القارىء حتى يسلمه الى النهاية وغدا القارىء يعرف مضمون القصة ونهايتها منذ ان قرأ اول كلمة فيها واصبح كمن يشاهد فيلما واحدا اكثر من مرة يعرف ملابساته ومفاجآته ، وكذلك قصة «الحادثة» فقد اغنى عنوانها عن قراءتها او عن المضي في قراءتها بتيقظ وحياة .. وبالاجماع فهي من اقوى قصص المجموعة ويا ليتها احتلت مركز الصدارة بين زميلاتها .

وبهذه اللمسات .. وما فيها ينتهي لقاؤنا مع «اللقاء» لقاء الحبيب عبد المقصود حبيب .

القاهرة **محمود بن الشريف**

•

السيــف والسفينـــة

قصص قصيرة ــ تاليف عبدالرحمن مجيد الربيعي ــ ١١٢ صفحة ــ مطبعــة الجاحــظ (؟)

لعل «السيف والسفينة» هي المجموعة القصصية الاولى التي صدرت في العراق وحوربت من قبل بعض من انتقدها ولا اقول النقاد لان ليس عندنا نقاد بالمعنى العام والمفهوم (والحمد لله) ، فكانت هدفا سهلا لكل من امتشق القلم وراح يرصف الكلمات بحق مؤلفها فقط . لا بحقها كمجموعة قصصية لقاص شاب يتطلع لآفاق اكثر سعة وشمولية حتى ان البعض انحدر لمستوى السباب كما قرأت ذلك في احدى الصحف . انني اتساءل ما غرض هؤلاء ؟ وماذا يريدونه من الكاتب ، هل هو الحسد الادبي واستميح نفسي عذرا ان اطلق هذه التسمية . الحسد الادبي لا غير ذلك . المؤلف يكتب القصة ، وكاتب مكثار نجد نتاجه في اكثر الصحف الصباحية والمجلات العراقية والعربية ويكتب الشعر وفي الفنون الاخرى . يقول البعض انه موزع الفكر ويقول آخر انه «كوكتيل» وانا اقول انه طاقة خلاقة يكتب القصة والمقالة والشعر ، فاسلوبه القصصي مزيج شعري وتعابيره سهلة رشيقة وجديدة ، فالحسد الادبي هذا التعبير (وارد) كما يقول البعض من الاصدقاء .

ولنعد لنلقي نظرة سريعة على مجموعته «السيف والسفينة».تحتوي هذه المجموعة على احدى عشرة قصة وهي : الصوت العقيم ، ظلال اللحظات ، العين ، موت الجفاف ، حفرة حيث لا اقمار ، السيف والسفينة ، الازمة والسراب ، صفعة من المقعد الخلفي ، الوفاء وتراب الكهف ، حكاية عواد باشا ، الكلب. ففي القصة الاولى كما في اغلب القصص نلاحظ الانفتاح المتكامل بحيث ان العقدة تتلاشى ، ولكن ضياع العقدة هذه لا يعني ان الحدث مفقود.فهو متكامل ، فالبطل المتشرد الذي يتذكر والدته ولا يمنيها بالعودة بل يقطع بوجهها كل امل هو ذلك الرجل الثائر ضد الزيف والنفاق ، والقصة الثانية ذكريات طفولة يتحدث بها البطل ايضا لحبيبته يسرى ومع ذكريات الطفولة يختلط الواقع الذي يدفع بالبطل لاثارتها . هذه الذكريات المحببة للنفس . « وها انا الان على سطح الدار بعد عشرين عاما ولكنني لست كما كنت في الماضي». «ظلال اللحظات» انها مزيج من الماضي والحاضر .. الواقع الذي يعانيه وما يثيره في نفسه من انفعال» لقد نسي كل شيء الا هي ، يسرى حبيبته .

ان هذه الرقة التي نلمسها بين سطور القصص وهذا الالم الدفين الساكن بين معانيها يدفعنا الى التامل اكثر في قصص الربيعي . اننا لا نستطيع ان نحاسب الكاتب ، لماذا لم يكتب كذا ويكتب كذا ولماذا لا يلتزم بالابعاد القصصية والتقنيات التي وضعت لها كالبداية والقمة والنهاية والحدث المهم الذي يجب ان يساير القصة منذ بدايتها حتى النهاية . الكاتب فنان ، قبل كل شيء يكتب ما يحس به وما يمليه انفعاله بهذا الاحساس فان تكامل هذا الدفق او الفيض من الافكار وضعه الكاتب نتاجا ادبيا مهما كان قصة ام شعرا ام مقالة . انه عمل فني فقط ، يدركه الكاتب ويدرك خطورته فهو المسؤول الاول والاخير ، انه هنا كالرسام يتطور تبعا لظهور مدارس الفن في مختلف انحاءالعالم، التطور بالاشكال الخارجية. اما المضمون الداخلي فهو ما يوجده الفنان تبعا للشكل الذي يؤمن به ، ولكن ربما يختلف العرض ولهذا الاختلاف وجهة نظر مختلفة عند فنان وآخر وذلك تبعا لاحاسيسه وشعوره وتفهمه في لحظة زمنية واحدة نتيجة لانفعال آني سريع او غير آني .

القصتان «موت الجفاف» و «حفرة حيث لا اقمار» رغم تفاوتهما المضموني فان ماساة الانسان الفرد وضياعه وتاهته واضحة ، ففي الاولى ماساة مريم وماساته هو الفرد (البطل) فمريم تدعوه « بالشقي الغامض الصامت» و «يا ايها النذل المريض» الى ما اشبه . انه ايضا واحد في رايها من هؤلاء الذين كانوا يلعقون صدرها كالكلاب ولكنها ارتضته لنفسها ، اليست هي مأساته ومأساتها ايضا ، فالابطال هنا يتقاربون ويسيرون ضمن خط واحد وتشغلهم قضية واحدة الا وهي قضية المصير ..البحث عن المكان اللائق للانسان المهاجر المتطلع لكل شيء حتى لموضع قدم في هذه المدينة الواسعة العابثة في ابنائها كما في «الصوت العقيم» والوحدة والضياع وذكريات المدينة وبؤس الاعماق في «ظلال اللحظات» والملل الكبير في «العين» ثم الزيف والخداع الذي كان مغلفا وحين زال الغلاف وظهرت حقيقة الاشياء ظهر كذلك زيفها الملون بالف برقع ، وما هروب البطل الى العدمية الا نتيجة لهذا الزيف الذي ظل يتبعه ويجري خلفه ولكن لا جدوى . « السيف والسفينة » والبحث ، البحث المتعب عن مثل عليا يشتهيها البطل «الوفاء وتراب الكهف » .

واما في قصة «عواد باشا» فانني احس بملامح الرجل الفلاح وهي لم تسحقها المدينة بعد ، فهي بكر بكبريائها وكرامتها واحساسها الدفين العميق بالبقاء والالتصاق بالارض . وبعد «فالسيف والسفينة» مجموعة طليعية لم تاخذ حقها في النقد ولم تفهم احاسيس ابطالها الموجودين والملتصقين في هذه الارض . انهم يعانون الضياع والالم بانواعه ومع ذلك لهم مزية الكبرياء والترفع ! «كنت زائدا ، احني راسي امام هزائمي ، ولا اصافح الايدي ولا الوجوه الاخرى» (مقدمة المؤلف) . تحية للجهد الصادق والتضحية المثلى من اجل اعلاء الكلمة .

بغـداد **خضير عبدالامير**



الحركة الادبيـة في ليبيـا

حتى عام ١٩٦٥ لم يكن لدي من المعلومات عن الحركة الادبية في ليبيا غير ما كان قد نشر في العدد الخاص من مجلتي «القلم الجديد» المحتجبة عام ١٩٥٣ .ولم يكن هذا كافيا البتة ، فهو الى الجهل اقرب منه الى المعرفة .

ثم اسعدني الحظ بالاطلاع على الدراسة التي كتبها صديقي الاستاذ خليفه التليسي في كتابه «رفيق شاعر الوطن» عن تطور الادب الليبي . وعلى الرغم من الفصل الضافي والعرض الشامل الذي قدمه التليسي في كتابه ، فان عدم اطلاعي مباشرة على شيء من الادب الليبي لم يسمح لي بشيء من المعرفة الصحيحة للحركة الادبية في هذا القطر العربي الناهض .

والواقع ان الادب الليبي ــ ومثله الادب التونسي ، والمغربي عامة ــ ما يزال الى اليوم بعيدا عن الوصول الى القارىء المشرقي ، حتى ليخيل الينا انه ليس في المغرب كله ادب يستحق الذكر ، ولا ادباء جديرون بالمعرفة . ويضطر المرء الى الاتصال المباشر بالبيئات الادبية المغربية لكي يعرف الحقيقة التي تخالف هذا الاعتقاد . وهذا فعلا ما وقع لي في تونس ، اولا ، ثم في ليبيا من بعد ، فقد لمست في البلدين حركة ادبية ناشطة ، وعرفت ادباء جديرين بأن نعرفهم في المشرق كما يعرفوننا هم في المغرب .والنهضة التي رأيتها بعيني لن تلبث ان تصل قريبا الى المشرق ، وتدخل في تاريخ الفكر العربي الحديث بقوة الى جانب نهضة الفكر المشرقية .

الجيل الماضي من ادباء ليبيا يقف على رأسه ثلاثة شعراء ، هم : الشيخ احمد الشارف ، ورفيق المهدوي ، وابرهيم الاسطى عمر . وكان هؤلاء الثلاثة يغذون بشعرهم حركة النضال الوطني ضد الاستعمار الايطالي ، ويلهبون به مشاعر الجماهير .

ولقد اخذت ليبيا الناهضة اليوم في الاهتمام بآثار هؤلاء الشعراء الرائدين الثلاثة ، ووضع المؤلفات الموسعة في دراستهم ، وتحليل أدبهم ، وتيسير وصوله الى القراء .فقد اصدر الاستاذ خليفه التليسي، وزير الاعلام والثقافة ، كتابا ضخما عن الشاعر رفيق المهدوي ، دعاه «رفيق شاعر الوطن» ، درس فيه آثار الشاعر دراسة نقدية واسعة مفصلة ، ودرس في سياقها تطور الحركة الادبية في ليبيا بكثير من التفصيل التاريخي الجريء ، والبحث الممتع النافع . وكذلك اصدر الاديب الليبي علي مصطفى المصراتي كتابين عن الشاعرين : ابرهيم الاسطى عمر ، والشيخ احمد الشارف : في الاول درس شعر ابرهيم وسيرته ، وقدم من قصائده نماذج عديدة مع الشروح والتعليقات التي تبين اهداف هذا الشعر ومراميه ، ومزايا اسلوبه .وفي الثاني فعل مثل ذلك ايضا ، ولكنه زاد ان قدم قسما كبيرا من شعر الشارف، او لعله قدم ديوانه بشكل واسع يكاد يكون وافيا .

اما ادباء ليبيا الاحياء فان من ابرزهم واكثرهم انتاجا وانتشارا في الاقطار العربية الاديبين «علي مصطفى المصراتي» و «عبدالله القويري». ولكل من هذين الاديبين عدد كبير من المؤلفات التي تجمع بين الدراسة الادبية ، والقصة ، والمسرحية.وقد نشر بعض مؤلفاتهما في مصر ولبنان ، وبذلك استطاعا ان يخرجا من محيطهما الليبي الى العالم العربي الواسع عن طريق دور النشر والتوزيع المصرية واللبنانية .

وجدير بي ان اورد في ما يلي اسماء بعض مؤلفات كل منهما :

١ ــ علي المصراتي : أديب ، ومؤرخ، وناقد ، وقاص . وكان عضوا في البرلمان الليبي . له اكثر من سبعة عشر كتابا ، قسم كبير منها عن ليبيا ، واعلامها ، وادبائها . ومن مؤلفاته : «اعلام من طرابلس ــ لمحات ادبية عن ليبيا ــ صحافة ليبيا في نصف قرن ــ ابرهيم الاسطى عمر ــ احمد الشارف وديوانه ــ ابن حمديس الصقلي ــ المجتمع الليبي من خلال امثاله ــ اسد بن الفرات ، فاتح صقلية ــ سعدون ، البطل الشهيد» . ومن مؤلفاته القصصية : «مرسال ــ الشراع المزق ــ حفنة من رماد » .

٢ ــ عبدالله القويري : أديب قصصي ومسرحي . ومن مؤلفاته المسرحية : «عمر المختار ــ المعاناة من اجل شيء ــ الجانب الوضيء ــ الشعاع» . ومن كتبه القصصية : «حياتهم ــ العيد في الارض ــ قطعة من الخبز ــ الفرصة والقناص».

اما اول اديب ليبي عرفته شخصيا ، وعرفت مؤلفاته ، فهو الاستاذ خليفة محمد التليسي .وقد رافقته مدة ستة اشهر من عامي ١٩٦٠ و١٩٦١ في ايطاليا ، اذ كنا معا في بعثة ادبية على نفقة منظمة اليونيسكو الدولية للتعرف الى الادب الايطالي وأربابه عن كثب .وحتى ذلك الحين كان خليفة قد اصدر كتابين ، هما : «الشابي وجبران ــ وصوت في الظلام» وهذا الكتاب الاخير مجموعة اقاصيص للكاتب الايطالي الشهير لويجي بيرانديللو ، ترجمها خليفة عن الايطالية مباشرة . وفي هذا العام ١٩٦٦ صدر كتابه الثالث «رفيق شاعر الوطن» .

وهناك اديب ليبي كبير ، متعدد المواهب ، يعرف لغات متعددة، يكتب بها ويترجم اليها وعنها . وهو يجيد الايطالية كما يجيد لغته العربية ، ويكتب بهما باستمرار . ذلك هو الاستاذ فؤاد كعبازي ــ وزير البترول الان في ليبيا ــ وقد عرفته بادبه قبل ان اعرفه بشخصه ،فقد كنت اطالع ابحاثه الايطالية النفيسة ، ومقارناته بين بعض الشعراء العرب وبعض الشعراء الايطاليين . وله كتاب بالايطالية بعنوان «تصاوير من الشعر العربي المعاصر» ترجم فيه عديدا من القصائد العربية ، لشعراء مختلفين . وهو ينظم الشعر بالايطالية ، كما يكتب في صحف ليبيا العربية والايطالية . وهو الى جانب ذلك رسام بارع ، وذو شغف بالموسيقى.والجدير بالذكر ان الطوابع الليبية جميعها من رسومه.

وأشير ايضا الى الشاعر علي صدقي عبدالقادر ، وهو من عشاق المذهب المستحدث في النظم ــ النظم المبعثر ، ذي الدماميك المتناثرة ــ . وهو مؤمن بهذا اللون ، شديد التحمس له . وقد أصدر اخيرا كتابا صغيرا بعنوان «صرخة» يحتوي على عدد كبير من منظوماته الوجدانية. وقد صدر الكتاب عن مؤسسة المعارف في بيروت في اخراج جميل أنيق.

في هذه المجموعة العاطفية المتنوعة لم يخرج الشعر عن حدود ثلاثة أبحر شعرية ، او اربعة ، ككل الشعر المستحدث الذي يظل يدور ويلف ضمن بحور «المتقارب ، والرمل ، والكامل، والهزج ، والرجز» ، لانه لا يستطيع ان يمد اجنحته الى حدود ابعد من هذه ، ويستفيد من الغنى الموسيقي الوافر الذي تقدمه بحور الشعر العربي العديدة وسائر مجزوآتها . وفي هذا الكتاب لمحات مشرقة ، وخطرات جميلة ، الى جانب ما فيه من صور وخيالات جانحة الى الاغراق والرمزية المفتعلة التي لا يخلو منها عادة هذا اللون من الشعر المستحدث .وعلي عبدالقادر واحد من ادباء ليبيا الذين خرجوا عن المحيط الليبي الى العالم العربي الواسع حين اصدر كتابه «صرخة» في بيروت ، ليوزع عن طريق دور النشر والتوزيع فيها .

وهناك ادباء آخرون من الشبان لم يتح لهم الخروج بعد من بيئتهم، ولكنهم يكتبون في الصحف الليبية ، وينشرون مؤلفاتهم في ليبيا ،

ولهم فيها قراؤهم . ومنهم الشعراء ، وكتاب القصة ، والمسرح ، والمقال ، والمعنيون بالنقد الادبي .وقد اصبح المجال مفتوحا امامهم للتاليف ، وممارسة نشاطاتهم الادبية في الصحف المختلفة التي تصدرها وزارة الاعلام والثقافة ، وفي الاذاعة ، وفي الجرائد المحلية اليومية .
كما ان وزارة الاعلام والثقافة قد افسحت لهم مجالات نشر مؤلفاتهم المختلفة ، سواء بما تتولى هي نشره ومكافاة اصحابه ماليا ، ام بما تشجعهم على نشره لدى الناشرين ، او على نفقتهم الخاصة ، وتبذل هي نفسها بسخاء لتيسير نشره ورواجه لفائدة المؤلف الليبي .

واثر وزارة الثقافة والاعلام اليوم كبير جدا في رعاية النهضة الادبية الليبية .ومنذ ان تولى الاستاذ خليفة التليسي هذه الوزارة شاء ان يحول اسمها من «وزارة الاعلام» الى «وزارة الاعلام والثقافة» لكي يعطيها الصفة الرسمية والقانونية للعناية بخلق نهضة ثقافية واسعة .
ثم اهتم باصدار عدد من الصحف والمجلات الراقية للمساهمة الفعلية في تطوير الحركة الثقافية.فهناك الان مجلة «الرائد» الشهرية ، ومجلة «المرأة» ، ومجلة «الاذاعة» نصف الشهرية ، ومجلة «ليبيا الحديثة» .
واذا كانت هذه الاخيرة ذات اهداف اعلامية رسمية ، فان المجلات الثلاث الاخرى خاصة بالابحاث الفكرية والاجتماعية.وهي تدفع المكافات المالية السخية عن كل ما ينشر فيها ، بغية تشجيع الانتاج الفكري في ليبيا بمختلف الوانه .

ولم تكتف الوارة بهذا وحده ، بل اصدرت نظاما لتدعيم حركة التاليف والنشر ، وانشات جوائز مالية سنوية لكل لون من الوان الانتاج الفكري ، واخذت تجري المسابقات الادبية ، وتمنح الجوائز المالية للكتب الفائزة في هذه المسابقات : الشعر منها ، والرواية ، والمجموعات القصصية ، والدراسات الادبية . وتقوم الوزارة بنشر الكتب الفائزة على نفقتها .

وينص النظام الجديد الذي اصدرته الوزارة على ان تشتري الوزارة الف نسخة من كل كتاب ليبي ينشره صاحبه على نفقته الخاصة ، وخمسمئة نسخة من كل كتاب تقوم على نشره احدى دور النشر .
ولكي تستطيع الوزارة رعاية النهضة الادبية على اوسع نطاق ممكن ، تالفت فيها لجنة باسم «اللجنة العليا لرعاية الآداب والفنون» برئاسة الاستاذ عبداللطيف الشويرف ، وزير الاعلام السابق. وهذه اللجنة هي التي تتولى الاشراف على تنظيم حركة المسابقات ، والتاليف ، والنشر ، والنشاطات الثقافية ، والمواسم الادبية ، وما الى ذلك .

وعلى الرغم من ان المسرح الليبي ما يزال في دور التكوين ، فان وزارة الاعلام والثقافة تحرص على تهيئة المجالاتلنهضة مسرحية نشيطة. وهي في سبيل انشاء المسارح في مختلف انحاء ليبيا ، لاجل تدعيم النهضة المسرحية ، وترسيخ الفن المسرحي في حياة المواطنينالليبيين.

بهذه الوسائل السخية من التشجيع والرعاية برز عدد غير قليل من الادباء الشبان ، واخذت حركة التاليف والنشر في النمو ، فظهرت المؤلفات في كل لون من الوان الادب والفكر في ليبيا . وفي ما يلي طائفة من الاسماء والمؤلفات الحديثة التي ظهرت خلال العامين الاخيرين، عدا بعض المؤلفات التي ورد ذكرها في ما تقدم :

١ ـ ديوان «الركب التائه» للشاعر حسن السنوسي (اصدرته وزارة الاعلام).

٢ ـ «تمرد» ـ مجموعة اقاصيص ليبية للقصاص الشاب المرحوم خليفة التكبالي .(وقد توفي التكبالي في شهر ايار المنصرم من هذا العام ، بعد فوزه بجائزة القصة الثانية من وزارة الاعلام والثقافة، وقبل ان يصدر كتابه عن الوزارة بأربعين يوما فقط).

٣ ـ «الجدار» ـ مجموعة اقاصيص ليبية للاديب الشاب يوسف الشريف ، وقد فاز بالجائزة الثالثة للقصة ، وصدر عن الوزارة .

٤ ـ «بلادك يا صالح» ـ مجموعة مسرحيات للاديب الشاب عبد الحميد المجراب .

٥ ـ «الموسيقى : قواعد وتراث» ـ دراسة في الموسيقى ، لمحمد مرشان ، وقد اصدرته الوزارة كذلك .

وهناك عدد من المؤلفات الشعرية والقصصية والمسرحية لدى الوزارة تنتظر دورها في الصدور ، كما ان الكثيرين من الادباءالليبيين قد اخذوا يهتمون بالتاليف والنشر بعد ان صدر النظام الذي يلزم وزارة الاعلام والثقافة بشراء كميات من المؤلفات التي تصدر في ليبيا .

اتراني اعطيت صورة عن الحركة الفكرية في ليبيا ؟ كلا ، انني لم افعل اكثر من انني اشرت الى تباشير نهضة مباركة ترعاها وزارة الاعلام والثقافة ، وتقودها اللجنة العليا لرعاية الآداب والفنون . والمستقبل القريب هو الكفيل بان يجعلها تمرع وتثمر اطيب الثمار ، باذن الله . غير ان هناك شيئا اود ان اقوله بعد هذا الذي لمسته بنفسي من بوادر النهضة في تونس وليبيا ، وما عرفته من نشاطات الادباء في المغرب ، ولا اظنني مخطئا ولا مغاليا فيه .

يبدو لي ان الخطى القادمة في نهضة الفكر العربي ستقودها بلدان المغرب العربي ، بعد ان تخلفت طويلا عن ركب النهضة في المشرق . وهناك شعور عنيف عميق لدى المغاربة باننا نحن المشرقيين قد تناسيناهم طويلا ، او اهملناهم في مسيرتنا ـ كما يخيل اليهم ـ وهذا الشعور يدفعهم بقوة وحماسة الى ان يبرزوا تفوقهم وجدارتهم بقيادة النهضة . انهم مصممون على ان ينتزعوا الراية من يد المشرق .
وهذا التصميم لا يعتمد على الادباء وحدهم ، بل تقوده حكومات المغرب نفسها ، وتبذل في سبيله الكثير الكثير من المال والعناية والرعاية . وسينجحون في هذا ـ انا واثق من نجاحهم ـ فهم ينتجون بكثير من الحرية ، ويعتمدون على ثقافات واسعة : تغذت بالثقافة العربية القديمة ، ومزجتها بالثقافات العصرية ، والاطلاع الواسع على آداب الغرب.وامكانات النجاح لديهم كثيرة ، والشعور بالتخلف الماضي وبوجوب التفوق في الحاضر عميق لديهم. وهذه كلها عوامل عظيمة الاهمية في بروزهم قريبا في الصف الامامي .

عمان — **عيسى الناعوري**

•

صديق شيبوب

عرفت صديق شيبوب بالاسكندرية قبل وفاته بعدة سنوات . كنت قد نشرت بمجلة «الاداب» ، في ٥ نوفمبر ١٩٦١ ، كلمة بعنوان «ادباء يجب ان نعرفهم جيدا» ، عبرت فيها عن اعجابي البالغ بانتاجه (وانتاج نقولا يوسف وعبداللطيف النشار) مما اتيح لي الاطلاع عليه في مواضع متفرقة.
ثم سعيت اليه في مكتبه بجريدة «البصير» ، بشارع اديب اسحق ، اقدم له نفسي . وكان صديق قد تفرغ للكتابة المستمرة بها منذ ١٩٥٠، بعد الغاء المحاكم المختلطة التي اشتغل بها فيما بين ١٩١٦ ـ ١٩٤٩ ، تلتها سنة اخرى في المحاكم الاهلية استقال بعدها.وهناك طالعني رجل طويل القامة شيئا ، معتدل الجسم مليئه في غير ترهل ، ابيضالبشرة حليق الذقن خفيف الشارب ، يرتدي زي رجال النصف الاول من القرن العشرين المتانقين ، على قدر من الحيوية والنشاط تبعد عن ذهنك انه يقترب من السبعين ، بما يرتبط بها من امراض الشيخوخة .

وليست هذه ملاحظتي وحدي. ففي الخطاب المفتوح الرقيق الذي وجهه انور الجندي الى «الفقيد صديق شيبوب» ، في عدد يونيو ١٩٦٥ من مجلة «الاديب» ، يعجب «كيف انك ولدت عام ١٨٩٤ وكانك قد بلغت اليوم عاما فوق السبعين ، وما اظنك كذلك ، واعتقد ان هذا التاريخ

لا يمثل الحقيقة ولعلك قد جاوزت الستين ، ولكني لا اعتقد انك بلغت السبعين » .

أما انا فبدا لي صديق شيبوب في تماسكه في نحو الخامسة والخمسين على الاكثر. واذكر انه دعاني ، في هذه المقابلة ، للكتابة في «البصير» التي كان يقدم فيها ، لاكثر من ثلاثين سنة خلت – منذ ١٩٢٨ على التحديد – مقالة اسبوعية في باب اطلق عليه «الحياة الادبية» ، فوجدت فيها نافذة واسعة للانطلاق الى الكتابات الاجتماعية والقصصية ونقد تراثنا العربي القديم ، والمشاركة في بعض القضايا التي تشغل الحركة الادبية ، عددتها – لقلة توزيع هذه الجريدة وقتذاك – بمثابة التمرس نحو السيطرة على التعبير بالكلمة ، والاهتداء الى الطريق الذي احسب اني احسن المضي فيه .

الا ان صديق شيبوب ارادني ان احذو حذوه ، واؤدي الدور الذي نهض ولا يزال ينهض به حتى هذا الوقت ازاء الحياة الادبية بالاسكندرية ، فاخذ يكلفني بكتابة موضوعات بعينيها اتابع بها النشاط الثقافي في هذه المدينة ، من ندوات عامة ومحاضرات ومهرجانات ، وجدت في عرضها والتعليق عليها فرصة للسجال الهيت عزيمتي . كما كان يقدم لي بعض الكتب لادباء الاسكندرية يضيق وقته عن نقدها ، مثلما فعل مع ديوان «ايناس» للشاعر الحزين كناري ، وكانت سببا في عقد صداقة بيني وبينه .

ومنذ سنة ١٩٦٣ غدوت ، طالما كنت في الاسكندرية ، القاه كل يوم على وجه التقريب. وعندما كانت احاديثه تطرق ذكرياته مع ادباء الجيل الماضي او المعاصرين – في مصر ولبنان والمهجر – يلفح المرء لهب من الانفعال لا يجده في احاديثه الاخرى. وخلال هذه الاحاديث عرفت مجرد لمحات من تاريخ حياته ، اذ كان ضنينا بما يخصه ، لا يبوح بذكرياته الا لماما. اغلب الظن انه يتنفسها على الورق في قصصه ، ويدعها تنسرح على تفكيره وتاملاته ، فلم أشأ من ناحيتي ان اقتحم هذه الملكية الخاصة. وقد وجدت هذه اللمحات عند من كتب عنها ، ولا تخرج عن مولده باللاذقية في ٢٦ يوليو ١٨٩٤ ، وتلقيه التعليم الابتدائي والثانوي بمدارس الفرير بها ، وشغفه المبكر بمطالعة السير الشعبية ، وكان أعذبها وقعا على نفسه «سيرة عنترة بن شداد» التي منحت لغته هذه النكهة التاريخية العبقة .

ولما تخرج سنة ١٩١٠ عمل مدرسا لثلاث سنوات . وبعد وفاة ابيه وامه في سنتين متتاليتين (١٩١٣– ١٩١٤) هاجر في خريف نفس السنة وهو في العشرين والحرب الكبرى الاولى قائمة ضمن المهاجرين الذين فروا من ظلم السلطان عبدالحميد وولاته . وقصد الاسكندرية التي سبقه اليها شقيقه الشاعر خليل شيبوب ، ليقطعا سويا ، في الثغر المصري الذي استبدل بالثغر اللبناني ، رحلة الجهاد الادبي والخدمة العامة ، ويصبحا – عطاء بعطاء – من اعلامها البارزين .

وبفضل هذه اللقاءات المنتظمة تكشف لي ان صديق شيبوب اكثر عصرية مما قدرت ، وان افقه الرحب حماه من الجمود . فأي غرابة ان ترسخ الوشائج بيننا مع الايام ، وازداد اقترابا من نفسه وامتلأ بعميق الحب له والتقدير المشوب بالاسى. ذلك انه لو اقام في القاهرة لتبوأ المكانة التي يستحقها اديب جاد مثله ، يمتلك ثقافة رحبة وعميقة ، ويعزف عن الزبد الذي يذهب جفاء . وهي مكانة يضمنها له جلده ومواهبه وقدراته على الكتابة بنفس المستوى الرفيع في الميادين المتنوعة للادب والثقافة – في مختلف العصور والبيئات والتاريخ ، والمجتمع ، والتراجم ، والترجمة الدقيقة عن الفرنسية التي كان يتقنها اتقانا كاملا.

وتحت تأثير هذا التقدير ، وبالمبدأ الذي اخذ نفسه به ، باطلاق الحرية للكاتب ومقابلتها بحرية مماثلة للناقد (وهي حرية احددها بالالتزام) ، استقبلت بعض الكتب التي اصدرها هاتيك الايام (١٩٦٢ – ١٩٦٤) بما تستحقها من عرض وتقييم ، أشار اليها محمد رجب البيومي في مقالته عن «صديق شيبوب» («الاديب» يناير ١٩٦٥) ، وغمرني فيها بفضله ، اذ استثناني مع وديع فلسطين من تهمة العقوق ، ووصف كلماتي عنه بانها توالت «في حيدة واخلاص» . ولكنه اساء الى صديق شيبوب ، في هذه المقالة ، من حيث اراد ان يمتدحه ، حين ذكر انه « لم يكن مقيدا بمنهج خاص في مقالاته الاسبوعية بالبصير بل كانت المناسبة الطارئة كثيرا ما تحدد موضوعه» .

ان هذا الموقف الذي يقفه كان في حد ذاته منهجا اصيلا ومثمرا ، ساير به الحركة الادبية والفكرية في القاهرة والعالم العربي ، وعلى المستوى العالمي احيانا مثل مقالته عن طاغور التي كتبها بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده ، وعن ابرز اديبات عصرها ، جورج ساند ، التي كتبها سنة ١٩٥٤ في ذكرى مرور مائة وخمسين سنة على تاريخ ميلادها. وتسير على نفس الخط دراسته عن «خليل مطران» ، «البحتري» ، «ابن قلاقس» ، وما حواه كتابه «شخصيات عربية» ١٩٦٤ ، وغير ذلك كثير ، لا يختلف به عن اي ناقد تصدى للحياة الادبية المترامية ، وركز على ما تخرجه المطابع من كتب عرض في غضونها اراءه وافكاره ، وله جهوده في الخلق والترجمة .

فعندما ينال اديب او مفكر او فنان جائزة تشجيعية او تقديرية ، تعد اهم حدث ادبي ، يكتب مقالة ضافية عن جهوده وخصائصه . وما من كاتب او مفكر او فنان عربي ذي اثر اوروبي فقدته الحياة ، او اتت ذكراه ، الا وكتب عنه صديق يعرف به وبآثاره ودوره ، على نحو ما كتب عن : فيلكس فارس ، اسماعيل ادهم ، اوسكار وايلد ، جان ارقش ، احمد زكي ابو شادي ، القاصة كوليت ، يوسف كرم ، عبد الرحمن شكري ، محمد امين حسونة ، عثمان حلمي ، بشر فارس .. وغيرهم كثير ، ان كان على صلة متينة بالشخصية تحولت كلماته التي يفي بها الذكرى الى نار ونور . وتؤلف هذه المقالات وحدها دائرة معارف صغيرة الحجم لابرز الادباء والفنانين والفلاسفة – قدر ما يتسع لها جهد رجل واحد – ارجو ان يعلم المسؤولون عن النشر في وزارة الثقافة ببلادنا ان تركها مبعثرة في «البصير» وغيرها من المجلات خسارة فادحة ، لانها تؤرخ تاريخا علميا مبدعا للحياة الفكرية في مصر وخارجها على مدى العصور ، فضلا عن مقالاته عن ادبنا القديم والادب الاوروبي ومترجماته وقصصه المؤلفة والملخصة التي تملأ جميعا عدة مجلدات .

وقبل اعداد هذا المقال عدت الى مطالعة مجموعة كبيرة من مقالاته، فلفت نظري اهتمامه البالغ بنقد ادب الشباب وتوجيههم . وهو اهتمام يصدر عن رغبة حارة ان تسدد خطاهم. بهذه الروح لم يتحرج صديق شيبوب عن كتابة تعليقات على اراء ابديتها في «البصير» ، بقلم الاديب الناشىء الذي تجاوز العشرين بسنتين او ثلاث ، وهو الذي قطع اكثر من ضعف هذه السنوات في كتابة الفنون المختلفة ، نشرت في اشهر مجلات العالم العربي مثل : «المقتطف» ، «الكتاب» ، «الثقافة» ، «الرسالة» ، «الكتاب العربي» ، «الحديث» ، «الاديب» . وربما رجع

السبب الى انه كان يعتبرني افضل الادباء الشبان الذين اتصلوا بـه واكثرهم جدية .

وعلى الرغم من ان صديق شيبوب عاش عزبا ، فلم يكن من اولئك الذين يعتقدون ان الحياة قائمة على البغي ، ولم يكن الفن لديه مزلقا للبوهيمية والتحلل من السجايا الطيبة والانحراف ، بل احتفظ باعتدال النظر وسلام النفس ونقاء السريرة ، بشكل يثير الاعجاب والزهـو ، نماها المجتمع السكندري المؤتشب الذي اتاه ، الفائض بشتى العـادات من تحرر وتزمت وبين بين. يقدر في المرأة عفتها ، ويصون لصداقـة الجنسين اواصرها ، ولا يني عن تقديم يد العون والخدمات الاجتماعية العامة .وكان يرى ان الزواج هـو قانون الحياة الطبيعي الذي يجب الالتزام بـــه .

ولا شك انه عانى كثيرا بسبب عدم الزواج ، ولانه ـ من قبل ومن بعد ـ لم يستوطن المحيط الزاخر في بحار الادب ، ويحقـق لنفسه المكانة التي تستحقها .سوى انه لم يفقد توافقه مع الحياة . ولعل الشخص الوحيد الذي كان يلمح ، خلف الوجه البسام ، سحائب الحزن العميق مطوية في صدره ، ينوء بها كما ينوء الانسان تحت ثقل باهظ .. اقرب ما تكون الى حزن الوجوديين ويأسهم. ولئلا يدع احدا يخفف عنه كان يردد : من يدري ، الم يكن من الجائز ان تكون الحياة أسوأ ؟! دون ان يعني هذا التساؤل انه عاش محير اللب. لقد كان يبدو لي دائما في صورة الانسان المستقر ، الذي وجد اجابة منضبطة وشافية على كل شيء ، ويضاهي ما يجد على هذه المعرفة الكاملة .

كل ما في الامر انه تلقى قدره المقسوم قليل الاكتراث ، بمثل مـا كان يقف امام الصيت والماديات . فعاش برمل الاسكندرية مع اخته ـ مد الله عمرها والهمها الصبر في وحدتها ـ في شبه عزلة ، في قلـب الحركة الادبية الخافتة في الاسكندرية ، بعيدا عن الاضواء في القاهرة ، يحفظ لنفسـه كبرياءهـا ..

ولو انه كان من اولئك الادباء الذين يتهافتون على الصيت والمادة ، ويضحون في سبيلها بكبرياء الانسان ، لكان له ما اراد واكثر مما اراد. ويكفي ان اذكر ان مقالته الرائعة عن أخيه «خليـل شيبوب» ، التي القاها في مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية ، ظلت تسعة اشهر فـي مجلة «المجلة» قبل ان تنشر في سبتمبر ١٩٦٣ ، لانه عف ان يذكر بها صديقه رئيس التحرير.وبعد دراسته الممتعة عن الشاعر الالماني «جوته» ، في سلسلة اقرأ عدد ٣٥ اكتوبر ١٩٤٥ ، لم يصدر له أي كتاب لما يقرب من عشرين سنة ، على الرغم من كثـرة اصدقائه ومعارفه في «دار المعارف» وغيرها من دور النشر . صدرت له في الفترة ما بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ اربعة كتب طبعت طبعة تجارية لم يلتفت لها احد من النقاد على الرغم من موضوعاتها الهامة .

وفي احد ايام صيف ١٩٦٥ ، في ٢٢ ابريل ، دق التليفون فـي البيت ـ في فترة الظهيرة الحارة ـ فأحسست ان وراء الرنين المزعـج نذيرا بالسوء.غير اني لم انتبه لهذا الاحساس الغامض عندئذ. رفعت السماعة. يا عجبا ويا للالم الموجع : صوت احد الاصدقاء يتهدج وهو ينعي صديق شيبوب ، الذي كان للادباء جميعا موعد معه في المسـاء كنت أتأهب له . اختطفته يد المنون بعلة القلب على فجأة في الفجر ، وقبل ان نلقي عليه نظرة وداع حيا . القيناها عليه وهو في تابوتـه الخشبي ، في ظهيرة اليوم التالي ، يبدأ الرحلة المجهولة ، اشرق ما يكون وجها ، اعمق ما يكون هدوءا ، اشد ما يكون جسارة .

ويجاور قبر صديق شيبوب في مدافن الروم الارثوذكس بالشاطبي قبر اخيه خليل ، بعد «الفرقة الكبرى» ـ على حـد تعبير صديـق ـ التي وقعت بينهما في ٣ فبراير ١٩٥١ تغمدهما الله برحمته .

الاسكندرية نبيل فرج